

شرح أصول السنة للإمام أحمد بن حنبل

لفضيلة الشيخ
ربيع بن هادي المدخلي

[أشرطة مفرغة] ~~هـ~~

أعدّ هذه المادة
سالم بن محمد الجزائري

النسخة المصححة من قبل الشيخ ربيع حفظه الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ.
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

أما بعد:

فإنَّ العقيدة الإسلامية التي جاءت بها الرسالات كلها هي بمرتلة عظيمة في الإسلام إذ هي أصل الإسلام، وهي مقياس لصحيح الدين من فاسده.

ومن هنا اهتم علماء الإسلام -علماء أهل السنة والجماعة- ببيان هذه العقيدة وشرحها والدعوة إليها والذب عنها، وألّفوا في ذلك مؤلفات وضمّنوا كثيرًا منها في ثنايا المؤلفات.

ولقد أُلِّفَت في ذلك الكتب الصغيرة والكبيرة، فمن المؤلفات: السُّنة لعبد الله بن أحمد في هذا المجال، والسُّنة للخلال، والشريعة للأجري، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي، والإبانتين لابن بطة، وغير ذلك من المؤلفات التي اهتمت بالعقيدة، لعلم هؤلاء الأجلاء بمرتلتها ومكاتبها، وأن المنحرف في شيء منها أو في أصل من أصولها على خطر، قد يكون ذلك الانحراف كفرًا، وقد يكون بدعة وضلالة وقد يكون وقد يكون..

من هنا يجب على طلاب العلم أن يهتموا بدراسة هذه العقيدة، والأصول التي قامت عليها. ولعلكم تعلمون أيضًا أن البخاري قد أورد في صحيحه كتاب الإيمان وكتاب الاعتصام وكتاب التوحيد، وهذه كلها عناية بالعقيدة وأصول الإسلام.

كذلك أبو داود في كتاب السُّنة من كتابه السنن في آخر الكتاب، والمراد بالسنة: العقيدة والمنهج. ومسلم كتاب الإيمان يلتقي مع هذه الكتابات في العقيدة لأهميتها. ومن الرسائل المختصرة التي أُلِّفَت لبيان العقيدة هذا الكتاب الذي أُلِّفه الإمام أحمد -رحمه الله- إمام أهل السنة والجماعة، ذلك الإمام الجبل العظيم، جبل السنة والإيمان والزهد والورع، والذي كان مقياسًا ومحنة يتميَّز به أهل الحق والسنة عن أهل البدعة والضلالة.

ولا يزال منهجه محنة إلى يومنا هذا، والأصول التي قارع عليها وسار عليها لا تزال محنة للناس إلى الآن، فمن شدَّ عنها والله قد امتُحن بأحمد ومنهجه وعقيدته.

كان أحمد محنة، الذي ينال منه يدلُّ على ضلاله وخُبثه وشره، والذي يعظّمه ويقدِّره كان يعلم الناس أنه من أهل السنة لأنه ما يُعظّم وييجل أحمد وغيره إلا من أجل هذه السنة، ولا نُبل أحمد وتبوا هذه المكانة وغيره كالشافعي ومالك والأوزاعي وغيرهم ما نبلوا ونهبوا في الأمة وعظموا فيها إلا لتمسكهم بالسنة، باحترامهم لها ودعوتهم إليها وذبحهم عنها.

فاعرفوا قدر السنة، واعرفوا أهلها وقدرهم والزموا غرزهم وترسموا خطاهم فإنهم والله كانوا على هدى مستقيم؛ على كتاب الله وعلى سنة رسول الله وعلى طريقة الصحابة الكرام وعلى رأسهم الخلفاء الراشدون.

فعليكم بهذا، ادرسوا هذا الكتيب الصغير، الذي لعلنا نمرُّ عليه بسرعة لأن هذا نظام الدورات ما ينبغي فيها التوسع، والمرور عليها يكفيننا إن شاء الله مع بعض الملاحظات حسب المستطاع. وأسأل الله أن يُفَقِّهنا في دينه، وأن يثبتنا على صراطه المستقيم وأن يجنِّبنا وإياكم سبل الهوى والضلال، وأن ينفعنا بهذا الكتاب وغيره من كتب الإسلام ولاسيما كتب العقيدة؛ عقيدة أهل السنة والجماعة.

التمسك بما كان عليه الصحابة والافتداء بهم

[المتن]

قال الإمام اللالكائي رحمه الله تعالى، أخبرنا علي بن محمد بن عبد الله السُّكري، قال حدثنا عثمان بن أحمد بن السَّمَاك، قال: حدثنا أبو محمد الحسن بن عبد الوهاب [بن] ^(١) أبي العنبر قراءة عليه من كتابه في شهر ربيع الأول من سنة ثلاث وتسعين ومائتين (٢٩٣هـ)، قال: حدثنا أبو جعفر محمد بن سليمان المنقري البصري - (تبيس) - قال: حدثني عبدوس بن مالك العطار، قال: سمعت أبا عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل رحمه الله تعالى يقول:

أصول السنة عندنا: التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والإفتداء بهم، وترك البدع، وكل بدعة فهي ضلالة، وترك الخصومات والجلوس مع أصحاب الأهواء، وترك المراء والجدال والخصومات في الدين.

^(١) زيادة من نسخة الشيخ الألباني، كما هو مدون في تحقيق هذه الرسالة.

[الشرح]

هنا ساق اللالكائي إسناده إلى الإمام أحمد رحمه الله، يلتقي هذا الإسناد مع الإسناد الثاني؛ يعني هذه أوردها اللالكائي كما رأيت في كتابه شرح أصول اعتقاد أهل السنة، كما أوردها ابن أبي يعلى في طبقاته، هاتان نسختان وبإسنادين مختلفين أحدهما يشد الآخر، ويؤكد نسبة هذه الرسالة إلى الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله إمام أهل السنة، كذلك الشيخ الألباني وجد مخطوطة في مجموع في المكتبة الظاهرية ونسخها بقلمه رحمه الله، وأظن أن هذه لها طريق آخر والله أعلم،^(١) ويُرجع إلى الأسانيد يقارن بينها، ونفعل ذلك إن شاء الله إذا سنحت لنا الفرصة.

هنا بعد أن ساق الإسناد إلى الإمام أحمد رحمه الله قال: (أصول السنة عندنا: التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) فالذي عليه أصحاب رسول الله هو المقياس للمحققين الذين يتمسكون بهذا الأصل وهو ما كان عليه الرسول وصحابته الكرام، وما كان رسول الله وصحابته الكرام وخلفاؤه الراشدون إلا على الهدى والرشاد؛ على كتاب الله وعلى سنة رسول الله؛ في عقائدهم وعباداتهم ومعاملاتهم وسائر شؤونهم، ولا سيما العقيدة، فأحمد رحمه الله يشير إلى هذا الأصل العظيم وهذه القاعدة العريضة التي لا يند عنها شيء من الإسلام وخاصة العقيدة.

فيقول: (أصول السنة عندنا: التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) خلافا لأهل البدع فإنما يتبعون أهواءهم، ويعتمدون عقولهم الفاسدة أو يزعمون أنهم يعتمدون على لغة العرب أو غيرها من القياسات الفاسدة.

أما الإمام أحمد ومن سلفه من الصحابة والتابعين وأئمة الإسلام فإن الدين الذي يتمسكون به هو كتاب الله وسنة رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ولا سيما في مجال العقيدة، فهم لا يخرجون عن ذلك إن شاء الله وفي ذلك الهدى المستقيم.

(١) سند النسخة التي حققها الشيخ الألباني: قال الشيخ الإمام أبو المظفر عبد الملك بن علي بن محمد الهمداني: حدثنا الشيخ أبو عبد الله يحيى بن أبي الحسن بن البنا، قال: أخبرنا والدي أبو علي الحسن بن أحمد بن البنا، قال: أخبرنا أبو الحسين علي بن محمد بن عبد الله بن بشران المعدل، قال: أخبرنا عثمان بن أحمد بن السمّك، قال: حدثنا أبو محمد الحسن بن عبد الوهاب بن أبي العبر قراءة عليه من كتابه في شهر ربيع الأول من سنة ثلاث وتسعين ومائتين (٢٩٣هـ)، قال: حدثنا أبو جعفر محمد بن سليمان المنقري البصري - (تيس) - قال: حدثني عبدوس بن مالك العطار، قال: سمعت أبا عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل رضي الله عنه يقول.

(والإقتداء بهم) الإقتداء بأصحاب محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهم القدوة وهم الأسوة ويشير إلى الحديث ((عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها النواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور))،^(١) وكذلك حديث الفرقة الناجية حينما أخبر الرسول أن ((هذه الأمة ستفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة)) قالوا: من هي؟ قال: ((ما أنا عليه وأصحابي))^(٢). ثم قال أيضا في حديث آخر: ((تركتم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك))،^(٣) فالصحابية تمسكوا بها ولم نجد فيهم هالكا إن شاء الله، وزاغ بعض الناس بعدهم؛ يعني في آخر عصر الصحابة وكذلك في أوساط عهود التابعين، ثم انتشرت البدع فبدأت فرقة الخوارج والروافض الغلاة في آخر خلافة علي رضي الله عنه، فأرسل إليهم عبد الله بن عباس لينظرهم، ثم بعد ذلك سلوا السيوف على المسلمين فقتلهم كما أمر بذلك رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وأجمع على ذلك من كان في عهده من الصحابة لم يخالفه في ذلك أحد ولم ينتطح في ذلك قرنان، الشاهد أن الإقتداء بالصحابية فيه النجاة، هو سفينة النجاة لأنهم شاهدوا نزول الوحي وتلقوا فقه القرآن والسنة وتطبيق ذلك من رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فهم قدوة، ولهذا يقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((ما أنا عليه وأصحابي))، ويقول: ((عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين)).

(١) سنن الترمذي: كتاب العلم عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، حديث رقم (٢٦٧٦). وقال: حسن صحيح.

سنن أبو داود: كتاب السنة، باب في لزوم السنة، حديث رقم (٤٦٠٧).

سنن ابن ماجه: باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، حديث رقم (٤٢، ٤٣).

قال الشيخ الألباني: صحيح.

مسند أحمد (تحقيق أحمد شاكر وهمة الزين): حديث العرباض بن سارية، حديث رقم (١٧٠٧٩).

(٢) سنن الترمذي: كتاب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة، حديث رقم (٢٦٤١)، وقال: حديث مفسر حسن غريب لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه. قال الشيخ الألباني: حسن.

(٣) سنن ابن ماجه: المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، حديث رقم (٤٣). قال الشيخ الألباني: صحيح.

مسند أحمد (تحقيق أحمد شاكر وهمة الزين): حديث العرباض بن سارية، حديث رقم (١٧٠٧٧).

وأورده الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٩٣٧).

اجتناب البدع والحذر منها

وكذلك من الأصول: (وتترك البدع) اجتناب البدع لأن البدع فيها الهلاك، وهذه الفرق التي وقعت في البدع توعدّها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنها كلّها في النَّارِ لأنها سلكت سبل الشياطين، ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، خط رسول الله خطا مستقيما وقال: ((هَذَا صِرَاطُ اللَّهِ)) ثم خط عن يمينه وعن شماله خطوطا وقال: ((هَذِهِ السُّبُلُ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ))،^(١) فمن ترك الصراط المستقيم في عقيدته وعبادته أو فقهه أو ما شاكل ذلك سلك طريقا من هذه الطرق التي على كل واحد منها شيطان يدعو إليه.

فالحذر الحذر من البدع والضلالات، وقد حذر منها رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ((من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)).^(٢)

وحذر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أيضا من أهل البدع عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، تلا قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧٠]، لما تلا هذه الآية قال: ((فَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَى اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ))،^(٣) والله يبين أن من في قلوبهم زيغ يتقصّدون الفتن ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾ فلا تجد مبتدعا إلا وهو يتبع المتشابهات من كلام الله تعالى أو من كلام رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو من كلام علماء الإسلام ليضل الناس في ذلك بمثل هذه الشبهات التي يتبعها، وهذا أمر واقع في القديم والحديث فلا ترى منحرفا عن

(١) مسند أحمد (تحقيق أحمد شاكر): مسند ابن مسعود، حديث رقم (٤١٤٣). قال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(٢) البخاري: كتاب الصلح، باب إذا اصطلحو على صلح جور فالصلح مردود، حديث رقم ٢٦٩٧.

مسلم: كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، حديث رقم ١٧١٨.

(٣) البخاري: كتاب التفسير، باب ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾، حديث رقم (٤٥٤٧).

مسلم: كتاب العلم، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن والتحذير منه، حديث رقم (٢٦٦٥).

منهج أهل السنة والجماعة إلا وهو يتبع هذه الشبهات ليقذف في قلوب الناس الفتن مع الأسف الشديد.

ونسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أن يرزقنا وإياكم التمسك بكتابه وتجنب البدع والشبهات والشهوات، (وكل بدعة فهي ضلالة) أخذها من الحديث، ((إياكم ومحدثات الأمور، فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ))، فكل بدعة صغرت أو كبرت هي ضلالة لاشك، ومن قال غير هذا فقد خالف النص الواضح الجلي، خالف هذه الكليّة التي قالها رسول الله وكان يخطب بها في جل خطبه أو كلها ((أما بعد، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كَلَامُ اللَّهِ وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ))،^(١) هذا في صحيح مسلم من حديث جابر، هذه خطبة النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ التي كان إذا خطب بها اشتد غضبه وعلا صوته واحمر وجهه كأنه منذر جيش يقول صَبَّحَكُمْ أَوْ مَسَّكُمْ، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، لخطورة البدع وشدتها وخطورها على الأمة، وهي ضلالة ومن يقول: بدعة حسنة وبدعة سيئة. هذا مخالف مصادم لهذه الكليّة الصادرة عن لا ينطق عن الهوى -مع الأسف الشديد-، ومنهم من يقسم البدع إلى واجبات ومستحبات ومكروهات ومحرمات يعني الأحكام الخمسة. وهذا غلط، فَإِنَّ الْوَجُوبَ لَا يَثْبُتُ إِلَّا بِدَلِيلٍ، فإذا ثبت ما يسميه بدعة بالدليل الموجب فهذه ليست بدعة، وإذا ثبت بالدليل الذي يفيد الاستحباب فليست بدعة هذه سنة، هذه سنة ليست بدعة، فالتقسيم هذا غلط يعني يحمل في طياته الخطأ الواضح.

ومن أصول السنة: (ترك الخصومات والجلوس مع أصحاب الأهواء) يعني لا تكثر من الجدل، لا تخاصم إلا في الموقع الذي ترى فيه الفائدة لمن يطلبها، إنسان يريد يناقشك ليصل إلى الحق تأكدت منه تفضل ﴿وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

أما إنسان يريد أن يغالط وأن يصارع وأن يغلب، هذا لا تجادله، هذا من المرء المذموم ومن الخصومات في الدين، الخصومات المذمومة.

فلا تخاصم ولا تمارك الله فيكم، والحكيم يضع الأمور في مواضعها، فمن يحتاج إلى أن تزيل عنه الشبهة فبين له، بالأخذ والرد، بالحكمة والموعظة الحسنة، لا على سبيل المغالبة؛ ولكن على سبيل بيان

(١) مسلم: كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، حديث رقم (٨٦٧).

الحق وتوضيحه وإرشاد مثل هذا المسترشد، (والجلوس) يعني وترك الجلوس (مع أصحاب الأهواء) لأن مجالسة أصحاب الأهواء تؤدي إلى الزيغ في الغالب.

وكثير من الناس يغترون بما عندهم من معرفة، وبما عندهم من الذكاء، فيخالطون أهل البدع ويعاشروهم فيكلهم الله إلى أنفسهم، فيقعون في الضلال، هذا شيء ملموس وأشار إلى مثل هذا الإمام ابن بطة رحمه الله، قال: عرفنا أناسا كانوا يسبون ويلعنون أهل البدع، فجالسوهم وعاشروهم فأصبحوا منهم. وهذا ملموس في كل زمان ومكان، وقد اغتر بعض الناس بأنفسهم من كبار الناس فوقعوا في هوة البدع مع الأسف الشديد ولا نريد أن نسميهم معروفون عند طلاب العلم.

(والجلوس مع أصحاب الأهواء) يعني يحتج على ذلك ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [الأنعام: ٦٨]،^(١) فلا تقعد معهم؛ لأن هؤلاء يخوضون في كتاب الله، ويقولون على الله بغير علم، فالبدع قائمة على الخوض في دين الله والخوض في كتاب الله، ونسبة هذا الباطل إلى كتاب الله وإلى سنة الرسول فيجب مفارقتهم، والرسول كما قرأنا ((فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه وأولئك الذين سمي الله فاحذروهم))،^(٢) ((يكون أناس في أمي يأتونكم بما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم))^(٣) هذا أيضا من النصوص المحذرة من مجالسة أهل البدع. هناك أناس أهل جهل ومخدوعون وأنت عندك علم وعندك حجة وبرهان، تدعوهم إلى الحق وتبين لهم، فلا بأس، أما أن تجالسهم على سبيل المخادنة والمصادقة والمحبة والعشرة وما شاكل ذلك، فهذا خطأ يجر إلى الضلال، ويجب على العاقل أن يتجنبه، وقد حذر من ذلك بعض الصحابة كابن عباس وبعض أئمة التابعين كأبي السخيتاني وابن سيرين رحمهم الله، كان الواحد منهم لا يستمع إلى صاحب بدعة، حتى ولو عرض عليه أن يقرأ عليه حديثاً أو آية، فيقول: لا، فيقال له: لماذا؟ قال: إن قلبي ليس بيدي، أخشى أن يقذف في قلبي فتنة، فلا أستطيع أن أنتزعها. فالسلامة لا يعدلها شيء، فلا يعرض الإنسان نفسه إلى الفتنة خاصة إذا كان يعلم من نفسه ضعفاً.

(١) وأيضاً قال تعالى: ﴿إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [النساء: ١٤٠].

(٢) تم تخريجه في الصفحة (٦).

(٣) مسلم: المقدمة، باب النهي عن الرواية عن الضعفاء والإحتياط في تحملها، حديث رقم (٠٦).

متزلة السنة وعلاقتها بالقرآن

[المتن]

والسنة عندنا آثار رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والسنة تفسر القرآن، وهي دلائل القرآن، وليس في السنة قياس، ولا تضرب لها الأمثال، ولا تدرك بالعقول ولا الأهواء، إنما هو الاتباع وترك الهوى.

[الشرح]

يقول: (والسنة عندنا آثار رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ما هي السنة؟ يقول: (آثار رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يعني أقواله وأفعاله وتقريراته، عندنا كتاب وعندنا سنة. ما هي السنة؟ هي آثار الرسول؛ يعني أقواله وأفعاله وتقريراته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وهي التي فرض الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى علينا اتباعها والتمسك بها.

قال يبين متزلة السنة وعلاقتها بالقرآن: (والسنة تفسر القرآن، وهي دلائل القرآن) فالسنة تبين القرآن؛ ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]، الرد إلى الله: إلى كتاب الله، والرد إلى الرسول: رد إليه في حياته وإلى سنته بعد وفاته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ فهي مردّ الناس ومرجعهم هي القرآن على حد سواء، فهي في الاحتجاج في أبواب العقائد والأحكام والحلال والحرام وسائر شؤون الدين هي مرجع كالقرآن، ولهذا كان السلف إذا ورد على أحدهم سؤال في عقيدة أو غيرها يجيب بما يسبق إلى ذهنه من نص قرآني أو نص نبوي، لا تفرقة في ذلك، وسيأتي مثال ذلك من موقف عمر وموقف أبي بكر وموقف ابن عمر وغيرهم من الصحابة.

(وهي دلائل القرآن) فتبين مجمله، وتفصل المجمل، توضح المبهم، وتقيد المطلق، وتخصّص العام، وتبين لنا الصلاة، أوقاتها، أعدادها، تفاصيلها، ماذا نقرأ فيها، ماذا نقول في الركوع، ماذا نقول في السجود، كل هذا من السنة، فالله يقول: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ ويكثر من ذلك، والسنة بينت ذلك

وفصلته؛ فهي دلائل وبيّنات وتوضيحات لمجملات القرآن، وتخصيصات لعموماته، وتقيدات لمطلقاته، فهي (تفسر القرآن) كما قال هذا الإمام، (وهي دلائل القرآن) أيضا كما قال رحمه الله.

(وليس في السنة قياس) يعني ليس في دين الله قياس، إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل، إذا جاء النص فلا قياس، لا يعارض بعقل ولا بقياس، ولا برأي، ولا بشيء، ما يسعنا إلا التسليم ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، فبعض الناس يغلو في القياس إلى درجة أن يرد بها النصوص، ويقول: هذا النص مخالف للأصول، هذا النص مخالف للقياس، فغلووا في القياس!

فالإمام أحمد يشير إلى الرد على هؤلاء، وإلا فقد يوجد قياس أولى؛ ولكنه كما يقال كالميتة يلجأ إليه في حال الضرورة؛ بل إن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يذكر في كتيب له سماه (معارج الوصول إلى بيان أن أصول الدين وفروعه قد بينها الرسول)، يقول: بالاستقراء ما من إجماع إلا وجدنا له نصا. كذلك ما قاست طائفة قياسا إلا ووجد نص في معنى ذلك القياس؛ لكن يتفاوت الناس في استيعاب النصوص أو مقارنة استيعابها، وقليل هم الذين استوعبوا النصوص مثل الإمام أحمد رحمه الله أو قارب استيعابها، فلهذا تجد عند كثير من العلماء قياسات صحيحة، هداهم الله إلى القياس الصحيح؛ ولكن لو توسع في دراسة السنة لوجد أن هناك نصاً من الشارع؛ لأن الرسول بين الأصول والفروع بحيث لم يترك شيئا ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، فديننا كامل لا نقص فيه، فبعض الناس يجتهد ويقيس ويكون قياسه صحيح ملحق بنص، جامع بين علة يعني معتبرة؛ لكن في المسألة نص ما بلغه، ولو بلغه النص لاحتج به وترك القياس، يأتي من بعده ممن درس السنة من الجوامع والمسانيد والمعاجم وإلى آخره، فيجد، -ابن تيمية مثلاً- فيجد أن هذا الإجماع كان فيه نص، أجمعوا إجماعاً صحيحاً موافقاً للنصوص الشرعية؛ ولو وجدوا هذا النص لاحتجوا به، لكن فما وجدوا، فجاء من يتبع كابن تيمية وغيره بالاستقراء، فوجد أن هناك إجماعات قامت وفيها نصوص ثابتة عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهناك قياسات قاسها علماء وهي قياسات صحيحة؛ ولكن هناك نصوص من النبي الكريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لم تصل إلى علمهم.

وعلى كل حال الإمام أحمد كان شديداً في رد القياس، وكان ينكر كثيراً من الأمور التي يُدعى فيها الإجماع، وينكر على من يقول: المسألة أجمع عليها القوم. يقول: وما يدريك أن هناك اختلافاً، فليقل لا

أعلم خلافا في القضية الفلانية، ولا يقول: أجمعت الأمة على هذه القضية. الأحوط أن يقول: لا أعلم خلافا؛ لأنه قد يكون هناك خلافا لم يبلغه ولم يطلع عليه.

قال: (ولا تُضرب لها الأمثال) إذا جاءك نص سلم، ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٦٥) [النساء: ٦٥]، إذا ساق لك إنسان النص الثابت الصحيح أو الحسن، لا تقل: والله والله، يعني وتضرب الأمثال، هذا قاله أبو هريرة كما في مقدمة ابن ماجه^(١) يعني قال: ((على من أكل ما مسته النار الوضوء)) روى هذا الحديث في الأمر بالوضوء مما مسته النار، فقال له أحد الصحابة: رأيت الحميم -يعني الماء الساخن- أتوضأ منه؟ قال: يا ابن أخي إذا بلغك حديث رسول الله فلا تضرب له الأمثال؛ يعني سلم. هذه قاعدة بارك الله فيكم.

قال: (ولا تُدرك بالعقول ولا الأهواء) يعني لا تدرك بالعقول ولا الأهواء تدرك بالنقل، تريد السنة، تريد الهدى، تعلم، أدرس، وإذا جاءت السنة تفقه فيها، استخدم عقلك في فقها ((من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين))،^(٢) أما بدون نصوص وبدون سنة وتريد أن تقول في دين الله، فهذا من القول على الله بغير علم، ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٣٣) [الأعراف: ٣٣]، فلا بد للمسلم من توقيف في العقائد، في العبادات، في الحلال، في الحرام، في أمور الدنيا، اجتهد؛ ((أنتم أعلم بأمور دنياكم))،^(٣) الأصل في الدين التحريم إلا ما أذن فيه الشارع، فإذا دخلت بعقلك في دين الله أتبعته هواك وقلت على الله بغير علم، وهذا من أكبر الذنوب، في بعض الأحيان يصل إلى أكبر من الشرك

(١) سنن ابن ماجه: المقدمة، باب تعظيم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والتغليظ على من عرضه، حديث رقم (٢٢) مختصرا.

كتاب الطهارة وسننها، باب الوضوء مما غيرت النار، حديث رقم (٤٨٥).

سنن الترمذي: كتاب الطهارة، باب ما جاء في الوضوء مما غيرت النار، حديث رقم (٧٩).

قال الشيخ الألباني: حسن.

(٢) البخاري: كتاب العلم، باب من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، رقم الحديث: (٧١).

مسلم: كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة، رقم الحديث (١٠٣٧).

(٣) مسلم: كتاب الفضائل، باب وجوب امتثال ما قاله شرعا دون ما ذكره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من معاش الدنيا على سبيل

الرأي، حديث رقم (٢٣٦٣).

كما قال ابن القيم؛ لأنه شرح هذه الآية وقال: إنَّ النص تدرج فيها من الأدنى إلى الأعلى، فأعظمها القول على الله بغير علم، أعظم من الشرك؛ لأنه يدخل فيه الشرك وغيره، وما الشرك إلا من أقوال أهل الباطل وأهل الضلال.

فالحذر الحذر من التكلم في دين الله بالهوى اغتراراً بالعقل والذكاء والفهم، وإنما الفقه في هذا النص كما هو الشأن في الصحابة والتابعين، وكما قال هنا: (إنما هو الاتباع وترك الهوى). يعني لا تسليط العقل على دين الله ولا تسليط الهوى، وإنما هو الاتباع وترك الهوى، وتجرد لله رب العالمين.

الإيمان بالقدر خيره وشره

[المتن]

ومن السنة اللازمة التي من ترك منها خصلة - لم يقبلها ويؤمن بها - لم يكن من أهلها:
الإيمان بالقدر خيره وشره، والتصديق بالأحاديث فيه، والإيمان بها، لا يُقال: لم؟ ولا:
كيف؟ إنما هو التصديق والإيمان بها.

[الشرح]

(ومن السنة اللازمة التي من ترك منها خصلة - لم يقبلها ويؤمن بها - لم يكن من أهلها) انتبهوا لهذا؛ هذه الفقرة مهمة جدا، الإمام أحمد سيصف لنا أصولا من ترك شيئا منها فليس من أهل السنة؛ يعني يخرج عن دائرة السنة إلى البدعة، تنبهوا لهذا.

(ومن السنة اللازمة التي من ترك منها خصلة) فإذا تركها كلها أو معظمها فهذا هو البلاء، (لم يقبلها) يعني أباه (ويؤمن بها، لم يكن من أهلها) إذا لم يكن من أهل السنة يكون من أهل البدع والضلال والعياذ بالله، وأنتم تعرفون أن البدعة تنقسم إلى كبائر وصغائر وإلى شرك وإلى إلحاد وإلى بلاء كما يقول ابن القيم رحمه الله: البدعة مشتقة من الكفر وآيلة إليه. والبدعة تقوم على الهوى والضلال ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ﴾ [الجاثية: ٢٣]، فنعوذ بالله من اتباع الهوى، ولهذا سمى أهل السنة أهل البدع بأهل الأهواء؛ لأنهم خالفوا دين الله واتبعوا أهواءهم، وهؤلاء مثل الخوارج والروافض والمعتزلة والجهمية والمرجئة والصوفية الحلولية أو أهل وحدة الوجود أو عباد القبور أو ما شاكل ذلك، كل هذه بدع وضلالات مخالفة لنصوص الكتاب والسنة، ومخالفة لأصول السنة وقواعدها.

أولها قال: (الإيمان بالقدر) فالذي لا يؤمن بالقدر ليس من أهل السنة، هذا ترك خصلة عظيمة وأصلاً عظيماً من أصول السنة، الإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان.

دلّ على ذلك كتاب الله وسنة الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ (١٢)﴾ [يس:١٢]، فكل حادث يحدث وكل عين قد عَلِمَهُ اللهُ وَسَجَّلَهُ فِي اللُّوحِ الْمَحْفُوظِ وهذا من أدلة القدر ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (٤٩)﴾ [القمر:٤٩].

وجبريل أرسله الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليقدر في هذا اللقاء أصول الدين وأركانه التي بيني عليها ويشاد عليها، سأله عن الإسلام، فقال: ((الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت))، قال: ما الإيمان؟ قال: ((أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وتؤمن بالقدر خيره وشره من الله تعالى))،^(١) فالأركان

الخمسة غير القدر مذكورة، القدر مذكور في آيات كما سبق، وقد تسرد أصول الإيمان في عدد من الآيات ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٢٨٥)﴾ [البقرة:٢٨٥]، فيساق أحياناً القدر في نصوص مستقلة، وتسرد هذه الأصول في سياق واحد، وكلها دل عليها كتاب الله وسنة رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كما في حديث جبريل هذا، وكما في حديث عبد الله بن مسعود، وربما تأتي لمحة أخرى عن القدر نذكر في ذلك الأدلة إن شاء الله.

من الأصول التي من ترك منها خصلة: (الإيمان بالقدر خيره وشره) فعلى المؤمن أن يؤمن بأن القدر كله خيره وشره من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وقد تكلم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الواسطية وغيرها عن القدر وأنه درجات:

فالدرجة الأولى علم الله المحيط بكل شيء، عَلمَ اللهُ بعلمه القديم الأزلي كل شيء من مخلوقاته صغيره وكبيره، دقيقه وجليله.

(١) البخاري: كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الإيمان..، حديث رقم (٥٠).

مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان.. حديث رقم (٠٨).

ثم سجل ذلك في كتاب محفوظ قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((قدر الله مقادير كل شيء قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة))^(١) وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((أول ما خلق الله القلم فقال له: أكتب. قال: ما أكتب؟ قال: أكتب ما يكون وما هو كائن إلى قيام الساعة))^(٢) فكتب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ الْمَعْلُومَاتِ الَّتِي عِلْمُهَا بَعْلَمُهُ الشَّامِلِ الْمَحِيطِ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٥٩)﴾ [الأنعام: ٥٩]، ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ﴾ [لقمان: ١٦]، فالله عليم بكل شيء، ودون هذه الأشياء كلها في اللوح المحفوظ.

ثم الدرجة الثانية وهي الإيمان بمشيئة الله العامة الشاملة لكل الأشياء وكل المرادات التي يشاؤها سبحانه وتعالى، والإيمان بقدرته التي يخلق بها كل الأشياء فما من معدوم أو موجود سابقاً أو لاحقاً صغيراً أو كبيراً قولاً أو فعلاً حركة أو سكوناً لا تحصل إلا بمشيئة الله ولا توجد إلا بخلق الله وإيجاده إياها بمشيئته وقدرته التي لا يعجزها شيء.

ومع ذلك أرسل الله الرسل وأنزل الكتب يكلف العباد بأوامر ونواه وعقائد وعبادات وما شاكل ذلك، فالمطيع يطيع باختياره وإرادته، وذلك لا ينافي مشيئة الله وقدرته سبحانه وتعالى. فمن أطاع وسلك سبيل الرسل الكرام فجزأه الجنة، ومن عصى الرسل وكذبهم وخالفهم حوسب على ذلك وجوزي على مقدار انحرافه، إن كان كفوفاً فالنار خالداً مخلداً فيها، وإن كان من أصحاب الكبائر يدخل تحت مشيئة الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه.

الشاهد: إن الإيمان بالقدر خيره وشره لا ينافي القيام والنهوض بالشرائع ((اعملوا فكل ميسر لما خلق له))، وقد سأله بعض الناس فيم العمل اليوم؟ أفيم جفت به الأقلام وجرت به المقادير أم الأمر مستأنف؟ قال: ((بل فيما فيه جفت الأقلام وجرت به المقادير))، قال: ففيم العمل؟ قال: ((اعلموا فكل ميسر لما

(١) مسلم: كتاب القدر، باب حجاج آدم موسى عليهما السلام، حديث رقم (٢٦٥٣).

(٢) سنن أبي داود: كتاب السنة، باب في القدر، حديث رقم (٤٧٠٠).

سنن الترمذي: كتاب القدر، باب (١٧)، حديث رقم (٢١٥٥)، وقال الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه.

قال الشيخ الألباني: صحيح، وأورده في السلسلة الصحيحة برقم (١٣٣).

«خلق له»^(١)، فأهل السعادة يسرون لعمل أهل السعادة، وأهل الشقاوة يسرون لعمل أهل الشقاوة، وقوله: ((اعملوا))؛ يعني اعملوا بشرائع الله، واعملوا بما جاءت به الرسل، أطيعوا الرسل؛ لأن الله أعطاك اختياراً، وأعطاك قدرة، وأعطاك عقلاً تميز به بين الحق والباطل والهدى والضلال والطاعة والمعصية، والله يحاسبك على ما أعطاك من هذه الآلات، وهذه الأدوات التي تميّزت بها عن الحيوانات والجمادات، وهي مناط المسؤولية أمام الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وعليها يترتب الجزاء سواء كان إكراماً أو إهانة.

(والتصديق بالأحاديث فيه) في القدر، من الأحاديث التي ذكرناها مثل حديث جبريل أيضاً ((أن تؤمن بالقدر خيره وشره))، يعني أن تؤمن بالقدر خيره وشره، هذا في التقدير العام الذي مرجعه علم الله الشامل السابق ومرجعه ما كتبه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى في اللوح المحفوظ. وحديث ابن مسعود في التقدير العمري -عمر الإنسان- في حديث ابن مسعود ((إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك))؛ يعني أربعين أربعين ((ثم يرسل إليه الملك فيؤمر بأربع كلمات، بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد))^(٢)، فهذا يسمى بالتقدير العمري.

هناك تقدير سنوي يعني ليلة القدر كما قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ (٣) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (٤) ﴿[الدخان: ٣-٤]﴾، فيكتب فيها الله مقادير ما يجري على العباد من أعمال صالحة وسيئات ومصائب وما شاكل ذلك، هذا يسمى التقدير السنوي الذي يقدره الله في هذه الليلة.

ثم هناك تقدير يومي وهو ما يفعله العباد ويكتبه عليهم الملائكة يوماً فيوماً.

قال: (والإيمان بها) بالنصوص، (لا يُقال: لِمَ؟) لم فعل الله كذا؟ ولم قدر كذا؟ ولم أمر بكذا؟ ولم نهي عن كذا؟ قال: (لا يُقال: لِمَ؟ ولا: كيف؟) إنما هو الإيمان والاستسلام والتسليم؛ لأن هذه التساؤلات قد تكون ناشئة عن الاعتراضات على الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى على قدره، على شرعه، على أمره

(١) البخاري: كتاب التفسير، باب ﴿فسنيسره للعسرى﴾، حديث رقم ٤٩٤٩.

مسلم: كتاب القدر، باب كيفية خلق آدمي في بطن أمه.. حديث رقم (٢٦٤٨). واللفظ له.

(٢) البخاري: كتاب القدر، باب في القدر، حديث رقم (٦٥٩٤).

مسلم: كتاب القدر، باب كيفية خلق آدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، حديث رقم (٢٦٤٣).

ونهيهِ. فما عليك إلا التسليم، خاصة في باب القدر؛ لأن باب القدر كما يقال: (سر الله تبارك وتعالى) فما عرفت منه فاحمد الله، وما لم تعرف فما عليك إلا التسليم، لا تقل: (لم؟ ولا: كيف؟ إنما هو التصديق والإيمان بها)، هذا الواجب على المسلم، وهذا مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، أنك مستسلم لله فيما يأمر به وينهى عنه ويشعره وفيما يقدر عليك من خير وشر.

[المتن]

ومن لم يعرف تفسير الحديث ويبلغه عقله فقد كُفِيَ ذلك وأحْكَمَ له، فعليه الإيمان به والتسليم له، مثل حديث ((الصادق المصدوق)) ومثل ما كان مثله في القدر، ومثل أحاديث الرؤية كلها، وإن نأت^(١) عن الأسماع واستوحش منها المستمع، وإنما عليه الإيمان بها، وأن لا يرد منها حرفاً واحداً، وغيرها من الأحاديث المأثورات عن الثقات.

[الشرح]

(ومن لم يعرف تفسير الحديث ويبلغه عقله فقد كُفِيَ ذلك وأحْكَمَ له)، ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، بعض النصوص قد لا تفهمها ولكن ما هي الحكمة والغاية منها؟ وما هو السر من ورائها؟ فعليك بالإيمان والتصديق لأن هذا مقتضى الإيمان ومقتضى التصديق، آمنت بالغيب آمنت بأن محمداً حق وأن القرآن حق وما جاء به محمد حق، وأنه لا ينطق عن الهوى، فما عرفت فالحمد لله وما لم تعرفه فكله إلى عالمه وقد كفاك.

أسئلة الدرس:

السؤال الأول: هناك من إخواننا السلفيين من يجالسون أهل الأهواء؟

... سأذكر بعض الأمثلة لكم، وقد حصل هذا لابن عقيل، وحصل للبيهقي، وحصل للهروي، وحصل لكثير وكثير على امتداد التاريخ الإسلامي، والكثير اغتروا بأنفسهم وجالسوا أهل الأهواء فضاعوا، وفي هذا الأصل عبر وعظات كثيرة وكثيرة حصلت لأناس كانوا يتبعون السلفيين، فلمجالستهم ومخالطتهم وقراءتهم لكتب أهل الباطل تاهوا وضاعوا.

فنصيحة هؤلاء أن يستفيدوا من إخوانهم ويستفيدوا قبل ذلك من هذا المنهج العظيم الذي يحثك على السلامة والنجاة بنفسك، فوالله إن السلامة لا يعدلها شيء.

(١) في نسخة: نبت.

السؤال الثاني: من المعلوم أن الخلاف في الفروع سائغ بشروطه فما هي الضوابط التي يكون فيها الخلاف في بعض مسائل العقيدة سائغا؟

الجواب: والله ما أرى هناك أي مسوغ للخلاف في العقيدة، وما يتعلقون به مما ينسبونه إلى الصحابة أنهم مختلفون في العقيدة، فهم لم يختلفوا في شيء، وسيأتينا إن شاء الله في درس من هذه الرسالة.

السؤال الثالث: إذا اجتمع الصحابة على مسألة ما، هل يجوز لمن جاء بعدهم أن يحدث قولاً؟

الجواب: هذا يتعرض إلى وعيد شديد وخطر كبير ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (النساء: ١١٥)، أجمع الصحابة على مسألة وأنت تأتي برأي آخر؟ هذا خرق الإجماع ومخالفة الكتاب والسنة ومشاقة لله وللرسول وللمؤمنين واتباع لغير سبيل المؤمنين، فلا يجوز.

السؤال الرابع: أنا رجل أعمل في إحدى الوظائف وبعض زملائي وكلهم من أصحاب المناهج المنحرفة فما نصيحتك لي في الحذر من مجالستهم؟

الجواب: ابحث لك عن مجال آخر، إن وجدت فيهم من يقبل دعوتك فالحمد لله، وإن ما وجدت فابحث عن مجال آخر، نعم.

السؤال الخامس: أرجو توضيح حديث ابن مسعود ((إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة))^(١)؟

الجواب: إذا جامع الرجل زوجته وأنزل الماء في رحمها فيكون مدة أربعين يوماً نطفة، ثم الله تبارك وتعالى ينقله إلى طور آخر وهي علقة، ثم ينقله إلى طور آخر -أربعين أخرى- مضغة، وهي مضغة اللحم والعلق من الدم، فهي أطوار؛ ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ (نوح: ١٤)، من نطفة إلى علقة إلى مضغة إلى جنين، ثم يكسو العظام لحماً، ثم ينشئه خلقاً آخر سبحانه وتعالى.

على كل حال، قد يكون الإشكال عند القدرية يعني كونه يعلم سعادته أو شقاوته وهو في بطن أمه وهذا من ضلالهم، فإن الله تبارك وتعالى قد علم ذلك في علمه الأزلي ثم سجل ذلك في اللوح المحفوظ، ثم هذا تسجيل مطابق لما علمه الله في الأزل ولما سجله في اللوح المحفوظ، وهؤلاء أتوا من

(١) تم تخرجه في الصفحة (١٠).

أهوائهم واغترارهم بعقولهم وإلا المسألة مسلمة وبديهيّة عند السلف. ونرجوا أن لا يكون السائل متأثراً بأفكار هؤلاء.



الإيمان برؤية الله

(ومثل أحاديث الرؤية كلها)

أي رؤية الله في الدار الآخرة؛ فعلى العبد أن يؤمن بأن الله يُرى في الدار الآخرة؛ يراه المؤمنون. وأنكر المعتزلة رؤية الله في الدار الآخرة! بناءً على شبه باطلة! ورد عليهم أهل السنة بالحجج والبراهين من كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن رد عليهم الإمام ابن القيم رحمه الله احتج ابن القيم بسبع آيات من القرآن، قد يستبعد الإنسان الاستدلال بها؛ ولكن إذا تأملها يجد أنه على صواب في الاستدلال بها رحمه الله، منها قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿أَنْتُمْ مُلَأْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣]، قال: واللقاء لا بد فيه من الرؤية والمعاناة، هذا ما تقتضيه لغة العرب.

واحتج أيضا قال: إن الآيات التي تتعلق بها الذين ينكرون رؤية الله مثل قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٠٣)﴾ [الأنعام: ١٠٣]، نقل شيخ الإسلام ابن تيمية أن الله لا يتمدح بمجرد النفي، وإنما يتمدح بالنفي المتضمن للإثبات، وضرب أمثلة كثيرة لهذا، وهنا قوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ فيه إثبات الرؤية؛ لأنه ما نفى الرؤية وإنما نفى الإحاطة، والله لا يحيط به شيء، وأنت ترى الشمس وترى السماء وترى كثيرا من الموجودات ولا تستطيع الإحاطة بها وإن كنت تراها في الجملة.

كذلك الآية الأخرى قول الله لموسى: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾ [الأعراف: ١٤٣]، طلب موسى من ربه أن يراه، لو كان هذا الأمر محرما أو مستحيلا ما سأل موسى هذا، قال: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾ ما قال: لا تراني، لن تراني يعني الآن ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣]؛ لكن موسى لا يطبق في هذه الدنيا رؤية الله، تركيب البشر الآن لا يطبقون به رؤية الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، كيف وفي الحديث الصحيح ((حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه))،^(١) فالتكوين البشري الآن ما يتحملون رؤية الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فإذا كان الجبل يندك لتجلي الله عز وجل فكيف يطبق الإنسان رؤيته؛ لكن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إذا بعث عباده وأدخلهم الجنة وكذا وكذا، يعني يدخلهم بهيئة وتركيبه مهياً لرؤية الله عز وجل.

(١) مسلم: كتاب الإيمان، باب في قوله عليه السلام: ((إن الله لا ينام)) وفي قوله ((حجابه النور...))، حديث رقم (١٧٩).

ومن الآيات ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، يعني فسرها الرسول الكريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بالرؤية كما في حديث صهيب في صحيح مسلم،^(١) وفسرها عدد من الصحابة بالرؤية -يعني هذه الزيادة- الحسنى الجنة والزيادة هي رؤية الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى وهي أفضل من الجنة، والله يقول لعباده بعد أن يدخلوا الجنة: هل تريدون شيئا أزيدكم؟ قالوا: ماذا نريد، بيضت وجوهنا وأدخلتنا الجنة وأعطيتنا وأعطينا، فيتجلى لهم ربهم، فما يتنعمون بنعمة ولا يجدون أفضل من رؤية الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

والأحاديث -كما قلنا- بلغت الثلاثين في إثبات رؤية الله، منها حديث جرير، وحديث أبي هريرة ((ترون ربكم عيانا كما ترون الشمس ليس دوونها سحب، وكما ترون القمر ليلة البدر ليس دوونه سحب))^(٢) أحاديث كثيرة روى منها البخاري جملة، ومسلم كذلك. هذا فيما يتعلق بالرؤية.

(وإن نَبَتِ عن الأسماع واستوحش منها المستمع) يعني أسمع أهل الباطل، أما أهل الحق فيتلقونها بصدور رحبة، (وإنما عليه الإيمان بها) لما ظهرت الفتنة وإنكار رؤية الله وهناك أناس يشوشون، قال مثل هذا الكلام.

هل أحدكم يُشَوِّش من حديث أبي هريرة أو آية الرؤية؟ لا أحد، ولا ينبوا سمعه عنها لكن أسمع أهل الباطل تنبوا عنها! فيقول مثل هذا الكلام.

(وأن لا يرد منها حرفاً واحداً) لأن الرسول لا ينطق عن الهوى، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لا يقول إلا حقاً، ولما قال له عبد الله بن عمرو: يقولون: لا تكتب عن محمد وهو بشر يتكلم في حال الرضا والغضب. قال الرسول: ((اكتب والذي نفسي بيده لا يخرج إلا حق))^(٣) عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤)﴾ [النجم: ٣-٤].

(١) مسلم: كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين ربهم سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، حديث رقم (١٨١).

(٢) البخاري: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ (٢٣)﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]، حديث رقم (٧٤٣٧).

(٣) مسند أحمد (تحقيق أحمد شاكر): مسند عبد الله بن عمرو بن العاص، حديث رقم (٦٥١٠، ٦٨٠٢). قال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

ترك الجدل والخصومات في الدين

[المقن]

وأن لا يخاصم أحداً ولا يناظره، ولا يتعلم الجدل، فإن الكلام في القدر والرؤية والقرآن وغيرها من السنن مكروه ومنهي عنه، لا يكون صاحبه - وإن أصاب بكلامه السنة - من أهل السنة حتى يدع الجدل ويسلم ويؤمن بالآثار.

[الشرح]

وينصح بترك الجدل، (فإن الكلام في القدر والرؤية والقرآن وغيرها من السنن مكروه ومنهي عنه) ورد أحاديث في النهي عن الجدل والخصومات، والرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خرج وأناس يتناظرون في القدر فغضب حتى كأنما تفقأ في وجهه حبُّ الرمان، ثم قال: ((أتريدون أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض))^(١) أنكر إنكاراً شديداً، هذا يدل أن النهي عن الجدل في القدر وفي غيره من العقائد.

(لا يكون صاحبه - وإن أصاب بكلامه السنة - من أهل السنة) فالإمام أحمد متشدد في الجدل، وأن من يقول: أنه لا يتوصل إلى السنة إلا بالجدل فهذا يقول غلط.

وعلى كل حال هذا الكلام لا يؤخذ على إطلاقه، فإن الله قد أباح لنا الجدل بالتي هي أحسن، فإذا استوفى الجدل شروطه وكان المجادل يريد الحق لا يريد المباهنة والمكابرة والمعاندة، فأنت بين له بالتي هي أحسن، أما إذا كان يميل إلى الغضب والصراع والتعالي فاتركه.

كان الشيخ ابن باز رحمه الله يأتيه بعض الخوارج ليناظروهم ما يناظرهم، يأتيه بعض الروافض ليجادلهم ما يجادلهم.

وأخيراً قال: (حتى يدع الجدل ويسلم ويؤمن بالآثار). هذا الذي يجب؛ تؤمن بالآثار وترويه للناس وتشرحها وتبينها لهم إن كان يصعب عليهم فهمها، إذا رأيت أحداً يجادل بالتي هي أحسن يريد الاستفادة تبين له، عنده شبهة أزها عنه بلطف، والحكمة والموعظة الحسنة. وإن كان يريد المماراة فلا تجادله لأن هذا لا يريد الحق ولن تصل معه إلى نتيجة.

(١) سنن ابن ماجه: المقدمة، باب في القدر، حديث رقم (٨٥). قال الشيخ الألباني: حسن صحيح.

القرآن كلام الله ليس بمخلوق

[المتن]

والقرآن كلام الله وليس بمخلوق، ولا يضعف أن يقول: ليس بمخلوق، قال: فإن كلام الله ليس ببائن منه، وليس منه شيء مخلوق، وإياك ومناظرة من أحدث فيه، ومن قال باللفظ وغيره، ومن وقف فيه فقال: لا أدري مخلوق أو ليس بمخلوق، وإنما هو كلام الله، فهذا صاحب بدعة مثل من قال: (هو مخلوق)، وإنما هو كلام الله ليس بمخلوق.

[الشرح]

وهذه القضية كما تعرفون قضية خطيرة جدا، قضية القول بخلق القرآن، قامت عليها محنة عظيمة لأهل السنة والجماعة، وعلى رأسهم الإمام أحمد، وقع فيها السجن والضرب والقتل؛ قام بذلك الجهمية والمعتزلة في عهد المأمون والمعتصم والواثق، في عهد ثلاثة خلفاء من العباسيين امتحننت الأمة محنة عظيمة بالجهمية والمعتزلة وأهل الضلال، وتسلبوا على أهل السنة، ولكن كتب الله العاقبة للمتقين، فصبر الإمام أحمد وصابر وتحمل الضرب والسجن والمتاعب الشديدة التي لا تطيقها الجبال رحمه الله، فرفع الله مكانته وأعلى منزلته، وصار إمام أهل السنة بحق، فلا يرفع أحد رأسه بالسنة وراية السنة إلا واعتز بانتمائه إلى هذا الإمام العظيم، وأعز الله الإسلام بأبي بكر يوم الردة وبأحمد يوم المحنة كما قال بعض السلف، رحمه الله وجزاه أحسن الجزاء.

فالقرآن والسنة يدلان على أن القرآن كلام الله تكلم به سبحانه وتعالى، أوحاه إلى جبريل، وجبريل بلغه إلى محمد صلى الله عليه وسلم، والله يتكلم متى شاء وإذا شاء، ومن كلامه الذي لا تفنيه البحار ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ (١٠٩) [الكهف: ١١٠]، فمن كلامه الكتب المترلة لإصلاح البشر ولهدايتهم ولإنقاذهم من الضلال وللمقاصد والغايات الحكيمة التي لا يعلمها إلا هو سبحانه وتعالى، هذا من رحمته ومن حكمته ومن مقتضيات ربوبيته أن يوحى إلى الرسل ويترل إليهم الكتب لتصلح بها حياتهم وتستقيم عليها حياتهم ويتأهلون بوحى هذه الكتب والعمل بها وبمقتضاها لدخول الجنة، ومرضاة رب العالمين، ومن خالفها وعاندها تقوم عليه الحجة ويستحق جزاء الكافرين والمتكبرين وهو الخلود في النار كما تحدث الله عن ذلك.

(والقرآن كلام الله) الله تكلم به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والكتب المنزلة كلام الله أوحاها إلى عباده، وكلم موسى تكليما، وكلم محمدا ليلة الإسراء عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وينادي يوم القيامة: أين شركائي؟ ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى﴾ [الشعراء: ١٠]، النداء لا يكون إلا بحرف وصوت يليق بالله، لا يشبه صوت ولا حروف ولا كلام المخلوقين، فالله يتكلم، والكلام صفة كمال، فالجماد لا يتكلم، والحيوانات لا تتكلم، وهي أحط من البشر الذين يتكلمون، فالله كرم الإنسان وكمّله، ومن كماله وأكمل كمالاته الكلام الذي تميز به على سائر المخلوقات، فالله الذي أعطى البشر والملائكة والجن العقلاء أعطاهم هذه القدرة على الكلام وصفة الكلام من صفات الكمال، والله كامل يهب من كماله لمن يشاء من عباده ومخلوقاته، فهي صفة كمال، العلم صفة كمال، القدرة صفة كمال، فالذي يسلب عن الله الكلام والعلم والقدرة هذا تنقص الله غاية التنقص، ولما قال أحد كفار قريش ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٥]، قال: ﴿سَأُصَلِّهِ سَقَرَ﴾ [المدثر: ٢٦]، ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨) فَقَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (٢٣) فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ (٢٤) إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (٢٥) سَأُصَلِّهِ سَقَرَ﴾ [المدثر: ١٨-١٩]، قول البشر مخلوق، فتوعده الله هذا الوعيد الشديد، هذا الطعن في هذا القرآن بأنه سحر وبأنه قول البشر، هذا تنقص وطعن في هذا القرآن الذي هو كلام الله أنزله الله لهداية البشر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وليس بمخلوق؛ لأن المعتزلة والجهمية والباطنية والروافض والخوارج وكل فئات الضلال تختلف مقالاتهم ومؤداها أن الله لا يتكلم، حتى الأشاعرة تأثروا بالمعتزلة، أوائلهم كانوا يقولون: الكلام هو صفة قائمة بذات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ لكن هذا القرآن ليس كلامه وإنما هو حكاية لكلامه، وكلامه صفة قائمة بذاته ليس بحرف ولا صوت ولكن ما تكلم. هذا القرآن ليس كلامه! نسأل الله العافية، ومن أواخر الأشاعرة من صرح بأن القرآن مخلوق مع الأسف.

فالقرآن كلام الله ليس بمخلوق، وكلام الله كله ليس بمخلوق، وهؤلاء لما بدؤوا بهذه الفتنة يقولون: كلام الله خلقه بغير محل، ويقولون: كلام الله؛ لكنه كما تقول: ناقة الله، فيقولون: ناقة الله وبيت الله، أي من إضافة المخلوق إلى الخالق، وهذا من تلبيسهم وكذبهم.

قال: (وليس بمخلوق) القرآن كلام الله ما يكفي ليش؟ لأن الجهمي المعتزلي الذي ينكر أن القرآن كلام الله، يقول: كلام الله ولكن يريد أنه مخلوق مثل أن نقول: ناقة الله وبيت الله، بيت الله مخلوق،

وناقة الله مخلوقة أليس كذلك؟ فهو من هذا الباب، ومن هذا التلاعب يقولون: كلام الله لكنه مخلوق، أنت قلت: كلام الله ليس بمخلوق، لأنك لو قلت كلام الله وسكت وما قلت: ليس بمخلوق؛ يوافقك المعتزلي والجهمي يقول لك: كلام الله، لكن هو يكمل بأنه مخلوق وأنت أكملت أنه ليس بمخلوق.

(ولا يضعف أن يقول: ليس بمخلوق، قال: فإن كلام الله ليس ببائن منه، وليس منه شيء مخلوق) يعني صفة الكلام صفة قائمة بذات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ لكن يتكلم متى شاء وإذا شاء، صفة الكلام، (كلام الله ليس ببائن منه) يردّ على المعتزلة الذين يقولون: خلقه بغير محل. فالكلام صفة الله مثل القدرة، مثل الإرادة من الصفات الأزلية القائمة بذاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهي صفات كمال، وكما أنه يخلق متى شاء يتكلم متى شاء، ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، فصفة الكلام صفة ذات، لكنه يتكلم ويوحى ويخلق ويرزق بكلامه ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ فقوله: (ليس ببائن منه) أي أن كلامه تعالى قائم بذاته، وأما القرآن فيسمع وكلامه يسمع، عرفتم؟ قوله: (ليس ببائن منه) مقصوده؟ مقصوده أن هذه الصفة قائمة بذاته، ردّا على المعتزلة يقولون: خلقه بغير محل.

قال: (وليس منه شيء مخلوق وإياك ومناظرة من أحدث فيه) أنظر كيف يؤكد؛ لكن هنا لما احتاج رَضِيَ اللهُ عَنْهُ المناظرة ناظر، لما أُلجئ إليها ناظر ابن أبي دؤاد وناظر غيره، عند الضرورة وعند الحاجة؛ وعند من يريد أن يتلقى الدعوة والحق.

(ومن قال باللفظ وغيره، ومن وقف فيه فقال: لا أدري مخلوق أو ليس بمخلوق) هنا لما جاءت فتنة القول بخلق القرآن وحصل افتراق بين أهل السنة وبين الجهمية والمعتزلة وغيرهم نشأ ممن ينتمي إلى السنة من يقول: القرآن كلام الله ولفظي به مخلوق، فأنكر عليهم الإمام أحمد لأنك لما تقول: لفظي بالقرآن مخلوق. كلمة (لفظ) تحتل أن يراد بها الملفوظ؛ يعني نفس القرآن، وتحتل أن يراد بها نفس اللفظ الذي يتكلم به ويلفظه المتكلم.

فلما كانت تحتل الباطل، وقد يستغلها الجهمية والمعتزلة وغيرهم ممن يقول: القرآن مخلوق. قد يستغلها لتضليل الناس. لفظي بالقرآن مخلوق ويقصد الملفوظ الكلام. قال أحمد: من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو مبتدع.

(ومن وقف فيه فقال: لا أدري مخلوق أو ليس بمخلوق، وإنما هو كلام الله، فهذا صاحب بدعة) أنت تقول: كلام الله ليس مخلوق. لا تقل: لفظي بالقرآن مخلوق؛ لأنها وسيلة يتدرّع بها أهل الباطل ليتوصلوا بها إلى القول بأن القرآن مخلوق، وكذلك لا تتوقف اجزم؛ اجزم بأن القرآن كلام الله غير مخلوق كما هو مقتضى القرآن والسنة وما عليه الصحابة والسلف الصالح أن القرآن كلام الله ليس بمخلوق.

فإذا توقّف الرجل شك في أمره وهو بدعة وتجهّم؛ فيعني لما نجمت هذه الفتنة واشتدت جاءت مثل هذه الألفاظ والبدع، ومنهم من يتوقف، لا بد من الصراحة نقول: القرآن كلام الله غير مخلوق وانتهى، لا نقل: لفظي بالقرآن مخلوق، ولا نتوقف، لا يجوز التوقف، ولا يجوز أن نقول: لفظي بالقرآن مخلوق.

(ومن وقف فيه فقال: لا أدري مخلوق أو ليس بمخلوق) ما شاء الله يتظاهر بالورع، هذا قاله عدد من الناس وأسقطهم أحمد وأسقطهم أهل السنة وبدّعوهم، منهم يعقوب بن شيبة من أئمة الحديث، لما توقف في القرآن قال: لا أدري مخلوق أو غير مخلوق. قال الإمام أحمد: مبتدع ضال. واستشاره الخليفة أن ينصّب ويؤمّنه منصب القضاء، ولعلها رئاسة القضاء قال أحمد: لا إنه ضال. وقد تستغربون هذا.

والله أحمد فضّل أن يوظف اليهود والنصارى ولا يوظّف أهل البدع لخطورتهم؛ لأنهم ينخرون في المجتمع من داخله ويفسدون المجتمع، وهل أضّرّ بأهل الإسلام إلا أهل البدع وهيأهم للسقوط في هوة الذل تحت أقدام النصارى واليهود إلا أهل البدع، كل البلاء الذي أصاب الأمة من أهل البدع، حتى ابن تيمية قال: إن الدولة الأموية لما وقعت في البدعة وقع رئيسها مروان الحمار في قول الجعد، قال: كان سببا في سقوط هذه الدولة، هذه البدعة الآن لا تساوي شيئا بالنسبة للبدع التي حدثت الآن. يقول: (فهذا صاحب بدعة مثل من قال: (هو مخلوق)، وإنما هو كلام الله ليس بمخلوق.) الذي يتوقف والذي يقول: لفظي بالقرآن مخلوق. من هذه الأصناف ومن أذيانهم وأذنانهم.

الإيمان برؤية الله في الدار الآخرة

[المتن]

والإيمان بالرؤية يوم القيامة، كما رُوي عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الأحاديث الصحاح.

وَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ رَأَى رَبَّهُ، فَإِنَّهُ مَأْثُورٌ عَنِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَحِيحٌ، رَوَاهُ قَتَادَةُ، عَنْ عِكْرَمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ.

ورواه الحكم بن أبان، عن عكرمة، عن ابن عباس.

ورواه علي بن زيد، عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس.

والحديث عندنا على ظاهره كما جاء عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والكلام فيه بدعة، ولكن نؤمن به كما جاء على ظاهره، ولا نناظر فيه أحداً.

[الشرح]

قال: (والإيمان بالرؤية يوم القيامة، كما رُوي عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الأحاديث الصحاح.) تقدم الكلام على الرؤية.

(وَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ رَأَى رَبَّهُ، فَإِنَّهُ مَأْثُورٌ عَنِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَحِيحٌ، رَوَاهُ قَتَادَةُ، عَنْ عِكْرَمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ.

ورواه الحكم بن أبان، عن عكرمة، عن ابن عباس.

ورواه علي بن زيد، عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس.

والحديث عندنا على ظاهره)

هذه المسألة حصل فيها خلاف؛ هل رأى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلة أسري به ربه أو ما رآه؟

فبعض الناس تعلق بكلام ابن عباس هذا، وتعلق بكلام أحمد، وفهموا من كلاميهما أنهما يقولان: إنَّ محمداً رأى ربه بعينه.

قال شيخ الإسلام: كلام أحمد وكلام ابن عباس يرد مطلقاً ويرد مقيداً. يعني يطلق ابن عباس رأى محمد ربه، ويأتي عنه مقيداً رآه بفؤاده، وأحمد يرد كلامه مطلقاً يقول: رأى ربه، ويرد من كلامه ما يفيد أنه رأى ربه بفؤاده.

والصحيح كما يقول ابن تيمية: لم يثبت في كتاب الله ولا في سنة رسول الله أن محمداً رأى ربه، كلام ابن عباس موقوف ومقيد في نفس الوقت والتقيد بالنصوص التي وردت مقيدة أصح ففي

صحيح مسلم أنه رأى ربه بفؤاده مرتين^(١) كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ [النجم: ١١] قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ [النجم: ١٣]، يعني مرتين.

عائشة سئلت قالت في حديث مسروق: ثلاث من حدثك بمن فقد أعظم على الله الفرية، ومنها ذكرت، من قال: إن محمداً رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية. فقال مسروق: أمهليني يا أم المؤمنين أليس الله يقول: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ [النجم: ١١]، ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ [النجم: ١٣] قالت له: أنا أول هذه الأمة سألت رسول الله عن هذا، قالت: ذلك جبريل رآه رسول الله، كما قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رآه في هيئته التي خلقه الله عليها مرتين، رآه منحدرًا من السماء، سادا ما بين السماء والأرض؛ يعني ما رآه على هيئته التي خلقه الله عليها إلا مرتين. فيراه قد سد ما بين السماء والأرض، لعظم خلقه، فالآية تعني رؤية محمد لجبريل.^(٢)

وسئل الرسول عليه الصلاة والسلام كما في حديث أبي ذر رضي الله عنه بالإضافة إلى حديث عائشة رضي الله عنها قال: ((نور أنى أراه؟))^(٣) يعني بعيد، استبعد النظر.

والإسنادان اللذين ساقهما إلى ابن عباس كلاهما فيه ضعف (رواه قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس).

ورواه الحكم بن أبان، عن عكرمة، عن ابن عباس. الحكم بن أبان هذا صدوق له أوهام^(٤) في الإسناد الأول.

(١) مسلم: كتاب الإيمان، باب معنى قول الله عز وجل ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ وهل رأى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ربه ليلة الإسراء؟ حديث رقم (١٧٦).

(٢) مسلم: كتاب الإيمان، باب معنى قول الله عز وجل ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾، وهل رأى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ربه ليلة الإسراء؟ حديث رقم (١٧٧).

(٣) مسلم: كتاب الإيمان، باب في قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ ((نور أنى أراه)) وفي قوله ((رأيت نورا)) حديث رقم (١٧٨).

(٤) قال عنه الحافظ في التقريب: صدوق عابد له أوهام.

في الإسناد الثاني فيه علي بن زيد بن جُدعان ضعيف،^(١) وفيه يوسف بن مهران مجهول، لم يرو عنه إلا علي بن زيد بن جدعان،^(٢) عرفتم؟ فهما موقوفان.

قول موقوف عن ابن عباس عارضه المرفوع عن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وإذا تعارض الموقوف والمرفوع نقدم أيهما؟

هذا على فرض أنه يفيد الرؤية بالعين، يقول: هذا تترلاً، وإلا فالصحيح أن إطلاق هذا إن ثبت يقيّد بالحديث الثابت (رأى ربه بفؤاده)، فقيّد ابن عباس نفسه الرؤية التي أطلقها برؤية النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بفؤاده، ويقول ابن تيمية رحمه الله الإمام أحمد يطلق الرؤية ويقيّد. والصواب هو التقييد.

إذن ما فيه خلاف بين الصحابة، فأهل الأهواء الذين يروّجون الخلافات في الأصول والعقائد، يقولون: والصحابة اختلفوا في العقائد، هذا كذب ما اختلفوا، عائشة كانت تنفي الرؤية بالبصر، وابن عباس ما أثبت الرؤية بالبصر أثبت الرؤية بالفؤاد، أين الخلاف؟ ما فيه، عرفتم؟

ويختم الكلام على هذه يقول: (والحديث عندنا على ظاهره) قد يفهم منه أنه يرى أن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأى ربه بعينه بناء على حديث ابن عباس، وقد عرفتم أن حديث ابن عباس ماذا فيه من الكلام وأنه ما يرتقي إلى درجة الصحة، وقد لا يرتقي إلى درجة الحسن، ثم إنه مقيّد بالحديث الصحيح، فيحمل كلامه المطلق على التقييد -بارك الله فيكم- وتكون النتيجة أنه لا خلاف في القضية بين الصحابة.

أما المتأخرون بعضهم تأثر بكلام أحمد وظن أنه يقول: أن محمداً رأى ربه بعينه. وفهمه هذا خطأ إذ أن أحمد كان يقيّد.

(١) قال عنه الحافظ في التقریب: ضعيف. وقال عنه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة تحت الحديث رقم (١٦٨): الصواب فيه أن العلماء اختلفوا والراجح أن ضعيف وبه جزم الحافظ في التقریب؛ ولكنه ضعف بسبب سوء الحفظ لا تهمّة في نفسه، فمثله يحسن حديثه أو يصحح إذا توبع.

(٢) قال عنه الحافظ في التقریب: لم يرو عنه إلا ابن جدعان، وهو لين الحديث.

الإيمان بالميزان يوم القيامة

[المتن]

والإيمان بالميزان يوم القيامة كما جاء ((يوزن العبد يوم القيامة فلا يزن جناح بعوضة))،^(١) وتوزن أعمال العباد كما جاء في الأثر، والإيمان به، والتصديق به، والإعراض عن من ردّ ذلك، وترك مجادلتته.

[الشرح]

(والإيمان بالميزان يوم القيامة كما جاء ((يوزن العبد يوم القيامة فلا يزن جناح بعوضة)))، يؤتى بالرجل العظيم السمين فلا يزن عند الله جناح بعوضة، هذا فيه دليل على أن الأشخاص يوزنون وورد في حديث ثابت أن ابن مسعود ارتقى على شجرة الأراك، وكان دقيق الساقين فتعجبوا من دقة ساقه، فقال: ((لا تعجبوا من دقة ساقه فإنهما أثقل في الميزان من جبل أحد))،^(٢) هذا دليل على أن الأشخاص يوزنون، وأما الأعمال فلا خلاف فيها، أنها توزن.

المعتزلة والجهمية وأهل الضلال ينكرون الميزان المحسوس، ردوا الوزن العدل، هذا قول المعتزلة والجهمية ومن وافقهم من أهل الضلال، ينكرون الميزان.

والميزان له كفتان توزن فيها الأعمال، وهذه من الأدلة: حديث السجلات الذي يأتي؛ يعني يخبره الله تبارك وتعالى ويعرض عليه أعماله فإذا بها في تسعة وتسعين سجلاً تملأ ما بين السماء والأرض، ثم يقال: ((هل لك عمل؟ هل لك من خير؟ هل لك من عمل؟ فيقول: لا يا ربي، فيقول: بل لك عندنا حسنة، ولا يظلم ربك أحداً، فتوضع لا إله إلا الله في كفة وتوضع هذه السجلات التسعة والتسعون سجل في كفة فترجح بهما لا إله إلا الله لأنه لا يثقل مع اسم الله شيء))^(٣)

(١) البخاري: كتاب التفسير، باب ﴿أولئك الذين كفروا بآيات ربهم﴾ [الكهف: ١٠٥]، حديث رقم (٤٧٢٩).

مسلم: كتاب صفة القيامة والجنة والنار، حديث رقم (٢٧٨٥).

(٢) مسند أحمد (تحقيق أحمد شاكر): مسند عبد الله بن مسعود، حديث رقم (٣٩٩١). قال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

أورده الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٢٧٥٠، ٣١٩٢).

(٣) سنن الترمذي: كتاب الإيمان، باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله، حديث رقم (٢٦٣٩).

سنن ابن ماجه: كتاب الزهد، باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة، حديث رقم (٤٣٠٠).

قال الشيخ الألباني: صحيح.

وقد ورد في حديث: ((لو وضعت السموات السبع ومن فيهن والأرضين السبع ومن فيهن في كفة ولا إله إلا الله في كفة لمالت بهن لا إله إلا الله)).^(١)

الشاهد أن الميزان ثابت في الكتاب والسنة ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (١٠٣)﴾ [الأعراف: ١٠٣]، ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (٨) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (٩)﴾ [القارعة: ٦ - ٩]،

ومع الأسف سيد قطب والله ينكر الميزان، ينكر رؤية الله، وسار مع الجهمية ومع المعتزلة في كثير من العقائد، والله هذا حاصل، ونحن نقول هذا لئلا يخدع ناس بكتب هذا الرجل، فإنها والله مليئة بالضلالات يا إخوة، والله في أسس الأسس وأصول الأصول، سيد قطب يتخبط وضايح وكثير من الشباب سيضيعون بسبب تقديسهم له وإنزالهم له غير منزلته، فلا تجد المعتزلي والجهمي في بدعة إلا شاركهم فيها وجلالها لهم ووضوحها مع الأسف، فهو ينكر الميزان، والعرش، وأشياء كثيرة، مآزق والله.

(والإيمان بالميزان يوم القيامة كما جاء) المعتزلة والجهمية وأهل الضلال والباطنية ينكرون هذه الأشياء، (والإيمان به، والتصديق به، والإعراض عن من رد ذلك، وترك مجادلته). عرفتم ما يقال في المجادلة.

تكليم الله لعباده يوم القيامة

[المتن]

وأن الله تعالى يكلم العباد يوم القيامة، ليس بينهم وبينه ترجمان، والإيمان به، والتصديق به.

[الشرح]

((ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان))^(١) وسمعتم، ينادي الرب تبارك وتعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذْنَاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ (٤٧) وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا

^(١) مسند أحمد (تحقيق أحمد شاكر): مسند عبد الله بن عمرو، حديث رقم (٦٥٨٣). قال أحمد شاكر: إسناده صحيح. ابن حبان (٢٣٢٤)، والحاكم (٥٢٨/١) - وصححه ووافقه الذهبي -، وقال الحافظ في "الفتح": أخرجه النسائي بسند صحيح.

يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنَ مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾ [فصلت: ٤٧-٤٨]، ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [القصص: ٦٢]، والنداء لا يكون إلا بحرف وصوت وهو الكلام، وينادي أهل الجنة: ((هل رضيتم؟ هل أزيدكم؟))^(٢) فيكلم ويتكلم، يكلم الأفراد سبحانه وتعالى، ويكلم كل أحد بغير ترجمان، ويكلم الجميع، فالله سبحانه وتعالى موصوف بهذا الكمال أزلا وأبداً، وهذا من صفات كماله، ويكلم الأفراد يوم القيامة، وكلم موسى وكلم محمداً، وكلم جبريل، ويكلم الملائكة تبارك وتعالى، وهو من صفات الكمال. الشاهد أن الكلام يحصل للمؤمنين يوم القيامة.

الإيمان بالحوض وصفته

[المتن]

والإيمان بالحوض، وأن لرسول الله صلى الله عليه وسلم حوضاً يوم القيامة ترد عليه أمته، عرضه مثل طوله مسيرة شهر، آنيته كعدد نجوم السماء، على ما صحت به الأخبار والآثار من غير وجه.

[الشرح]

(والإيمان بالحوض) هذا من العقائد التي يجب أن يؤمن بها العبد، وقد ردت في الحوض أحاديث بلغت حد التواتر وأنه يعني ((مسيرته شهر))،^(٣) ((وطوله وعرضه سواء))^(٤) وفي الأحاديث أنه من المدينة إلى صنعاء،^(٥) ومن أيلة إلى صنعاء،^(١) فهو مما أكرم الله به محمداً صلى الله عليه وسلم، وقال

(١) البخاري: كتاب الرقاق، باب من نوقش الحساب عذب، حديث رقم (٦٥٣٩).

مسلم: كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمر، حديث رقم (١٠١٦).

(٢) تم تخريجه في الصفحة (١٠).

(٣) البخاري: كتاب الرقاق، باب في الحوض، حديث رقم (٦٥٧٩).

(٤) مسلم: كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا صلى الله عليه وسلم وصفاته، حديث رقم (٢٣٠٠). بلفظ ((عرضه مثل طوله)).

(٥) البخاري: كتاب الرقاق، باب في الحوض، حديث رقم (٦٥٨٠).

في شأنه: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ (٣)﴾ [الكوثر: ١-٣]، فهذا من أفضل ما امتن الله به على عبده ورسوله محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأكرمه به في الدنيا والآخرة.

ورد أن أناسا يطردون عنه وهم المرتدون ويلحق بهم أهل البدع أيضا، ذكر هذا القرطبي وغيره، ونقل ذلك الحافظ ابن حجر عنه أن البخاري قال: أن المراد بالذين يذادون عن الحوض ويقول الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((أصحابي أصحابي))^(١) قال: إنهم أهل الردة، وأدخل فيهم غيره أهل البدع، لماذا؟ قال: لأنهم أحدثوا بعده، فأهل البدع أحدثوا بعد الرسول، لماذا طردوا؟ لأنهم غيرا دين الله، وأحدثوا فيه ما ليس منه فالحديث يتناولهم.

(وأن لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حوضا يوم القيامة تَرِدُ عليه أمته، عرضه مثل طوله مسيرة شهر، آنيته كعدد نجوم السماء) من الذهب والفضة كما في مسلم^(٢) (على ما صحت به الأخبار والآثار من غير وجه) هذا شيء معروف.

الإيمان بعذاب القبر

[المتن]

والإيمان بعذاب القبر، وأن هذه الأمة تُفتن في قبورها، وتُسأل عن الإيمان والإسلام، ومن ربه؟ ومن نبيه؟

ويأتيه منكر ونكير، كيف شاء الله عز وجل، وكيف أراد، والإيمان به والتصديق به.

[الشرح]

مسلم: كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصفاته، حديث رقم (٢٣٠٣).

(١) البخاري: كتاب الرقاق، باب في الحوض، حديث رقم (٦٥٩١).

مسلم: كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصفاته، حديث رقم (٢٢٩٨).

(٢) البخاري: كتاب الرقاق، باب في الحوض، حديث رقم (٦٥٨٢).

مسلم: كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصفاته، حديث رقم (٢٣٠٤).

(٣) مسلم: كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصفاته، حديث رقم (٢٣٠٣).

(والإيمان بعذاب القبر) هذا وردت فيه أحاديث، ومن الآيات قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]، ففرعون وقومه وكذلك سائر الكفار يعرضون على النار غدوا وعشيا، هذا عذاب البرزخ، ثم عطف عليه عذاب يوم القيامة، ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ إلى آيات أخرى تفيد هذا.

وورد في عذاب القبر عن الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في الصحيحين^(١) مرَّ على قبرين وقال: ((إنهما يعذبان وما يعذبان في كبير)) قال: ((بلى إنه كبير، أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة، وأما الآن فكان لا يستتر من البول))، وقع في كبيرة فعذبه الله في البرزخ، هذا من الأدلة على أن الناس يعذبون في القبر بذنوبهم.

منها حديث البراء يعني أنه يأتيه منكر ونكير ويسألانه، فالمؤمن يقول: هو محمد رسول الله، جاءنا بالبينات والهدى كما في حديث أسماء فآمنا به واتبعناه.

وحديث البراء؛ يسأل: من ربك؟ ومن نبيك؟ وما دينك؟ فيقول: ربي الله وديني الإسلام ونبيي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فيقول: عرفناك لقد كنت مؤمنا فم إن كنت لمؤمنا، فيعرض عليه مقعده من النار لو كان كافرا، ثم يقال: عوضك الله بمقعد في الجنة. فيقول: ربي أقم الساعة. فيقول: انتظر. والكافر يأتيه الملكان فيسألانه: من ربك؟ وما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري سمعت الناس يقولون شيئا فقلته.^(٢)

ونسأل الله السلامة، فإنه يخاف على كثير من الناس؛ لأنه لا يعرف معنى الرسالة حق المعرفة، ولا يعرف أن محمدا جاء بالبينات والهدى، ولا يعرف معنى لا إله إلا الله، وإنما وجد الناس يقولون شيئا فقلته.

(١) البخاري: كتاب الوضوء، باب ما جاء في غسل البول، حديث رقم (٢١٨).

مسلم: كتاب الطهارة، باب الدليل على النجاسة البول ووجوب الاستبراء، حديث رقم (٢٩٢).

(٢) البخاري: كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر، حديث رقم (١٣٧٤).

مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه...، حديث رقم (٢٨٧٠، ٢٨٧١).

فليحذر المؤمن ويتدبر كتاب الله وليعد العدة لهذه الإجابة، ومحمد بن عبد الله جاءنا بالبيانات والهدى فأما به واتبعناه؛ يعني هذا الإيمان مترتب على معرفة الهدى والبيان الذي جاء به محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فنفع في هذا الامتحان الشديد.

والرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يقول: ((إنكم تفتنون في قبوركم مثل أو قريب من فتنة الدجال))^(١) وفي التشهد أيضا: ((اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ومن عذاب النار، ومن فتنة الحبي والممات))^(٢) وأدلة عذاب القبر والبرزخ كثيرة، ومنها ما ذكرناه لكم، وهو أمر ثابت يؤمن به أهل السنة وينكره المعتزلة ومن قلدهم من أهل الضلال.

(وإن هذه الأمة تُفتن في قبورها، وتُسأل عن الإيمان والإسلام، ومن ربه؟ ومن نبيه؟

ويأتيه منكر ونكير، كيف شاء الله عز وجل، وكيف أراد، والإيمان به والتصديق به.) كيف يدخل منكر ونكير في القبر؟ كيف يشاء الله، الملك يدخل في الرحم ويؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه وأجله وشقي أم سعيد، ويدخل في القبر ويسأل كيف؟ ما نعلم هذا، يعلمه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَأَخْبِر بذلك، فما عليك إلا الإيمان وميزة المؤمن؛ أفضل مزاياه أنه يؤمن بالغيب، ﴿آلَمَ (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣)﴾ [البقرة: ١-٣]، فتؤمن بالغيب الذي تضمنه القرآن، وتؤمن بالغيب الذي تضمنته سنة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي كلفه الله بتبليغ هذا القرآن وبيانه، وهذه من جملة البيانات، وهذه أحاديث فيها تفصيل الآيات التي دلت على عذاب البرزخ أو النعيم فيه.

أسئلة الدرس

السؤال الأول: السلام عليكم ورحمة الله.. أثر عن ابن سيرين وأيوب السخيتاني رحمهما الله في الابتعاد عن أهل البدع وعدم سماع حتى قراءة القرآن منهم، كيف تتزل هذه الآثار على أشرطة أهل البدع والحزبيين، فلا تُسمع أشرطةهم؟

(١) البخاري: كتاب العلم، باب من أجاب الفتيا بإشارة اليد والرأس، حديث رقم (٨٦).

مسلم: كتاب صلاة الكسوف، باب ما عرض على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار، حديث رقم (٩٠٥).

(٢) البخاري: كتاب الجنائز، باب التعوذ من عذاب القبر، حديث رقم (١٣٧٧).

مسلم: كتاب المساجد مواضع الصلاة، باب ما يستعاذ منه في الصلاة، حديث رقم (٥٨٩).

الجواب: هذا التحذير ما جاء عن ابن سيرين وأيوب فقط، جاء من الله ومن رسوله ومن الصحابة ومن التابعين وأئمة الإسلام، وينبغي للضعيف ألا يعرض نفسه للفتن، وأن ينأى بنفسه عن أهل البدع.

السؤال الثاني: هل يقال: إن أهل السنة والجماعة لم يختلفوا في أصول العقيدة أبداً؟

الجواب: نقول: الصحابة ما اختلفوا، أما أهل السنة والجماعة فمن أفاضلهم من وقع في بعض الاختلافات البسيطة التي لا تؤثر على المنهج مثل الإسلام والإيمان شيء واحد، أو هما شيئان متغايران وكل له مستنده، والصواب أن الإسلام والإيمان شيئان متغايران؛ فالإسلام كما في حديث جبريل يراد به الأعمال الظاهرة والإيمان الأعمال الباطنة، ((الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إلى ذلك سبيلاً))، ((الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله...))،^(١) فإن اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا، فاختلافات من هذا النحو وهي لا تضر إن شاء الله.

السؤال الثالث: هل يفهم من كلام الإمام أحمد في تبديع الواقف في القرآن أنه لا يقبل من أحد

في الفتن الكلام المجمل حتى يميز قوله ويبينه؟

الجواب: والله هذا ليس من الكلام المجمل، هذا من الكلام الواضح في البدعة، لما يتوقف هذا كلام بين أو شك واضح؟ نعم.

لكن كان السؤال: أحمد بدع في هذا، هل نبدع أمثال هؤلاء؟

نعم، نبدع أمثال هؤلاء. إذا توقف قال: القرآن مخلوق أو غير مخلوق؟ توقف، نبدعه أو لا نبدعه؟ نبدعه، إذا توقف وقال: لا أدري القرآن مخلوق أو غير مخلوق، مبتدع؛ لكن الجاهل لا يبدع حتى يعلم فيأبي الحق.

الآن هذه الموازين يعني خلخلة، تميع، الواحد عنده عشرات البدع الكبرى وهم يقولون: إمام مجدد، ما في أخطر على الإسلام من هؤلاء الأصناف الذين يميعون الإسلام ويميعون السلفية، وإذا هفا أحد من أهل السنة لا يرحمونه، وإذا وقع أهل البدع في البدع الكبرى العظائم المهلكة ما تضر، هذا من البلاء العظيم الذي نزل بشباب الأمة في هذا العصر، هذا التلييس وهذه الحيل توضع

(١) تم تخرجه في الصفحة (١٠).

مناهج لحماية أهل البدع وكتبهم، مثل منهج الموازنات، منهج خطير يدمر الإسلام أصوله وفروعه. ثم هو أوغل ما يكون في الإرجاء، فتوضع القواعد والأصول لحماية البدع وأهلها، وتشن الغارات على أهل السنة بالباطل.

السؤال الرابع: ما هي الكتب التي تنصحون طالب العلم باقتنائها في مسألة القضاء والقدر؟

الجواب: كتب شيخ الإسلام ابن تيمية ومنها كتاب القدر لابن تيمية وشفاء العليل لابن القيم، وكتاب القدر لأبي داود، والطحاوية والواسطية وإلى آخره، وعندكم البخاري كتاب القدر، ومسلم كتاب القدر، ومن كلام السلف مما ذكرناه.

السؤال الخامس: هل الكلام صفة ذاتية فقط أم ذاتية وقولية؟

الجواب: ذاتية وقولية هو يتكلم متى شاء وبما شاء ذاتية وقولية.

يقول: هل الكلام صفة ذاتية فقط؟، الكلام صفة ذاتية، هو قول الأشعرية، الكلام عندهم هو المعنى القائم بالذات من غير حرف وصوت، فقط يقولون: الكلام صفة ذاتية؛ لكن يتكلم؟ لا.

أهل السنة الكلام صفة ذاتية يقتدر بها على الكلام ويتكلم متى شاء وإذا شاء، إلى أي درجة؟ ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَذَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا (١٠٩)﴾ [الكهف: ١٠٩].

قول الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله في القدر، (وأن لا يخاصم أحداً ولا يناظره، ولا يتعلم الجدل) من طلاب العلم الصغار من يذهب يناظر في القدر الروافض، مع الجهمية، مع المعتزلة، يناظرهم في القدر، يناظرهم في هذه القضايا، لا تعرض نفسك للشبهات والضياع؛ لكن العالم المتمكن الذي يعرف أنه ينفذ بهذه المناظرة، إما ينصر أهل السنة ويقمع أهل الباطل، وإما أن يهدي الله هذا الذي يناظره، إذا كان طالب هدى يبين له.

أما أنت الصغير المسكين الضعيف، فلا تجادل، فأنا أؤكد هذا على طلاب العلم، أنك لا تجادل في مثل هذه البدع الغليظة، يعني الأمور التي تعرفها وفي حدود طاقتك وتكون هاضما لها من الأمور العادية لا بأس، إذا كان ليس الغرض الجدل والغلبة وإنما القصد البيان والتوضيح.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.



الإيمان بالشفاعة يوم القيامة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه.
قال المؤلف رحمه الله تعالى من أصول أهل السنة والجماعة:

[المتن]

والإيمان بشفاعة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويقوم يخرجون من النار بعدما احترقوا وصاروا فحماً، فيؤمر بهم إلى نهر على باب الجنة كما جاء في الأثر، كيف شاء الله، وكما شاء [الله]، إنما هو الإيمان به، والتصديق به.

[الشرح]

فالشفاعة ثابتة للنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ وهي في عرصات يوم القيامة حينما يشتد بالناس الهول، ويذهبون إلى آدم ثم إلى نوح ثم إلى إبراهيم ثم إلى موسى ثم إلى عيسى، كلهم يعتذر بعذر من الأعذار المعروفة في الحديث، ثم ينتهي الأمر إلى النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فيقول: ((أنا لها))، ويذهب فيخر ساجداً تحت العرش طويلاً، ويحمد الله بحماد لا يعرفها الآن، وإنما يلهمه الله إياها في ذلك الوقت. ثم يقال له: ((ارفع رأسك وسل تعط، واشفع تشفع))^(١).

وله شفاعات أخر في رفع درجات قوم استحقوا درجات دنيا في الجنة، ويشفع فيهم فيرفعهم الله، وفي قوم استحقوا دخول النار فيشفع فيهم، فلا يدخلون ويشفع في قوم دخلوا في النار بالذنوب التي ارتكبوها والكبائر التي ارتكبوها، فيشفع فيهم رسول الله، ويشفع فيهم النبيون والملائكة والصالحون، هذه شفاعات وشفاعات أخر يشاركه فيها الأنبياء والصديقون والصالحون والملائكة.

وأحاديث الشفاعة متواترة وكثيرة جداً روي منها في الصحيحين وفي مسلم بالذات أحاديث كثيرة، ومنها حديث أبي سعيد المشهور أنه يعني يشفع الرسول فيقول: ((أخرج من النار من كان في قلبه مثقال دينار من إيمان، ثم مثقال نصف دينار من إيمان، ثم مثقال نواة، ثم مثقال ذرة من إيمان،

^(١) البخاري: كتاب التوحيد، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، برقم: (٧٥١٠).

مسلم: كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، برقم: (١٩٣).

ثم من يمتلك من الإيمان أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان))،^(١) فالله تبارك وتعالى يخرج الموحدّين من النار بما معهم من الإيمان ولو كان أدنى من مثقال ذرة كما ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة. وينكر هذه الشفاعة الخوارج والمعتزلة والروافض وغيرهم من أهل الضلال، وهي ثابتة بالكتاب والسنة، ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وهنا تعلّقوا بعمومات تناول الكفار ولا تناول المؤمنين؛ يعني مثلاً ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمَ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥٤] آيات كثيرة في نفي الشفاعة عن الكفار ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ (٤٨)﴾ [المدثر: ٤٨]، تعلّق أهل الهواء بهذه العمومات، وتركوا النصوص المتواترة من سنة الرسول الله عليه الصلاة والسلام، وتركوا بعض نصوص القرآن التي دلّت على أن الشفاعة تحصل للمؤمنين الذين يرضى الله عنهم ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مِّنْ خَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ (٢٨)﴾ [الأنبياء: ٢٨]، ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبأ: ٢٣]، فالكفار لا يأذن بالشفاعة فيهم ولا يقبلها أبداً، حتى إن إبراهيم يشفع في أبيه فلا تقبل شفاعته، إبراهيم أبو الأنبياء وما له من منزلة عظيمة عند الله، خليل الله يشفع في أبيه فلا تقبل شفاعته.

وللنبي شفاعة خاصة فقط في أبي طالب يشفع فيه وهو في أعماق النار فيخرج إلى ضحضاح من نار.

ولا تقبل فيهم شفاعة الشافعين ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ (٤٨)﴾ [المدثر: ٤٨]، هذا في الكفار.

وأما المؤمنون: ﴿وَكَمْ مِّنْ مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى (٢٦)﴾ [النجم: ٢٦]، ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، فهذه الشفاعة المأذون فيها في المؤمنين ثابتة بالكتاب وثابتة بالسنة المتواترة، فيشفع الرسول وغيره في رفع درجات المؤمنين وفي عدم إدخالهم النار وفي إخراجهم منها كما ذكرنا سلفاً وكما ورد في الأحاديث.

(١) البخاري: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَجُودَةٌ يُؤْمِنُ نَاصِرَةٌ (٢٢)﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ (٢٣)﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣]، حديث رقم (٧٤٣٩).

مسلم: كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، حديث رقم (١٨٣).

فهذه يؤمن بها أهل السنة، وهي أصل من أصولهم يخالفون في ذلك أهل الأهواء من الخوارج والروافض وأهل الباطل، ويجب على المؤمن بذلك أن يؤمن ويصدق.

خروج الدجال

[المتن]

والإيمان أن المسيح الدجال خارج، مكتوب بين عينيه كافر، والأحاديث التي جاءت فيه، والإيمان بأن ذلك كائن.

[الشرح]

وهذا جاءت فيه أحاديث صحيحة كثيرة وصلت إلى درجة التواتر، في خروج الدجال وفي نزول المسيح أحاديث كثيرة، ومنها ما تقولونه في صلاتكم في كل يوم: ((اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ومن عذاب النار ومن فتنة الخبي والممات ومن شر فتنة المسيح الدجال)).^(١)

بعض الناس ينكر خروج الدجال مع الأسف الشديد ويقولون: نتأول تأويلات، ومن أغرب التأويلات ناس في هذا العصر يقولون: إن الدجال ليس شخصا، ولا عيسى شخص، وإنما هو اتجاه روحي واتجاه مادي، فالإيمان المادي أطلق على الدجال، والاتجاه الروحي أطلق عليه عيسى!

والأحاديث متواترة في الدجال وفي نزول عيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كما سيأتي.

الأحاديث كثيرة منها حديث ابن عمر وأنس وحذيفة وابن مسعود وأبي هريرة.. هذه أحاديث في صحيح مسلم في خروج الدجال، وأن كل نبي حذر من هذا الدجال، وحذر منه محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال: ((إني أنذركموه وسأقول لكم شيئا ما قاله أحد قبلي: إنه أعور العين اليمنى))،^(٢) ويخرج معه جنة ومعه نار، نهر من نار ونهر من الجنة فيما يبدو للناس، والواقع أن نهر الجنة نار ونهر النار جنة، فأمر الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إذا رأى المؤمن النهر الذي يتراءى للناس أنه نار أن يشرب منه، يطأطئ رأسه ويغمض عينيه ويشرب منه فإنه ماء بارد، والجنة التي تتراءى للناس أنها نار والعياذ بالله.

(١) تم تخريجه في الصفحة (١٠).

(٢) البخاري: كتاب الفتن، باب ذكر الدجال، حديث رقم (٧١٢٧).

قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إِنِّي لأَعْلَمُ بِمَا مَعَ الدَّجَالِ مِنْهُ))^(١) فالرَّسُولُ يَعْلَمُ أَكْثَرَ مِنَ الدَّجَالِ، فَالدَّجَالُ لَا يَعْلَمُ أَنَّ هَذَا نَهْرٌ مِنَ النَّارِ وَهَذَا نَهْرٌ مِنَ الْجَنَّةِ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ؛ وَلَكِنَّ الرَّسُولَ يُخْبِرُنَا بِهَذِهِ الْحَقَائِقِ هَذِهِ مِنْ مَعْجَزَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ صَدَقِ نُبُوتهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وبالمناسبة في سياق أحاديث الدجال قالوا: الرسول ذكر الدجال فخفض فيه ورفع، فتحدث الناس في هذا وانهمكوا فيه، ثم قالوا للرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: أَنْتَ تَكَلَّمْتَ عَلَى الدَّجَالِ وَخَفَّضْتَ فِيهِ وَرَفَعْتَ فِيهِ وَكَذَا وَكَذَا. قَالَ: ((غَيْرِ الدَّجَالِ أَخَوْفِي عَلَيْكُمْ))^(٢) لِأَنَّ الدَّجَالِ مَكْتُوبٌ عَلَى جَبْهَتِهِ كَافِرٌ - ك ف ر -، يَقْرُؤُهُ الْمُؤْمِنُ الَّذِي يَكْتُبُ وَالَّذِي لَا يَكْتُبُ، آيَةٌ وَاضِحَةٌ بِأَنَّهُ كَافِرٌ بِخِلَافِ الَّذِي يَلْبَسُ لِبَاسًا إِسْلَامِيًّا وَبِاسْمِ الْإِسْلَامِ وَيَحْمِلُ شِعَارًا إِسْلَامِيًّا، هَذَا يَضُرُّ أَكْثَرَ ((غَيْرِ الدَّجَالِ أَخَوْفِي عَلَيْكُمْ)) هَؤُلَاءِ الْمَلْبَسُونَ وَالْكَذَّابُونَ هُمْ كَثِيرٌ حَذَرْنَا مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

نزول عيسى عليه السلام

[المتن]

وَأَنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَنْزِلُ فَيَقْتُلُهُ بِبَابِ لُدٍّ.

[الشرح]

هَذَا وَارِدٌ فِي الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ وَهُوَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ^(٣) أَنَّهُ يَنْزِلُ عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَدِيهِ عَلَى كَتْفَيْ مَلَكَيْنِ، بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ يَعْنِي الْحِلَّةَ الْمَصْبُوعَةَ بِالزَّعْفَرَانِ وَالْوَرَسِ، وَاضِعٌ كَفِيهِ عَلَى كَتْفَيْ مَلَكَيْنِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَيَنْزِلُ بِالْمَنَارَةِ الشَّرْقِيَّةِ بِدَمَشَقٍ، ثُمَّ يَتَّجِعُ إِلَى الْمُسْلِمِينَ، وَمِنْهُ يَتَّجِعُ إِلَى قَتْلِ الدَّجَالِ فَيَقْتُلُهُ بَارِكَ اللَّهُ فِيكُمْ.

فَيَسْلُطُ هَذَا الْمَسِيحُ النَّبِيُّ الرَّسُولُ عَلَى الْمَسِيحِ الدَّجَالِ، وَتَسْمِيَةُ عِيسَى بِالْمَسِيحِ مِنَ السِّيَاحَةِ، وَتَسْمِيَةُ الدَّجَالِ لِأَنَّ عَيْنَهُ مَمْسُوحَةٌ، وَعِيسَى نَبِيُّ رَسُولٍ وَذَلِكَ كَاذِبٌ دَجَالٌ.

هَذَا الْمَسِيحُ الدَّجَالُ وَهَذَا الْمَسِيحُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَيَهْلِكُهُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ.

(١) مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته، وما معه، حديث رقم (٢٩٣٤).

(٢) مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته، وما معه، حديث رقم (٢٩٣٧).

(٣) مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته، وما معه، حديث رقم (٢٩٣٧).

فبعد قتله يأتي بأجوج ومأجوج فينحاز عيسى^١ بمن معه من المؤمنين إلى جبل الطور، ثم يرغب إلى الله عيسى وأصحابه -يعني يدعون الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى- على هؤلاء فيهلكهم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فتنن الأرض منهم، فيدعون الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى فيرسل الله طيرا كأعناق البخت فتحملهم إلى ما شاء الله فترميهم، ويُترل الله مطرا غزيرا فيدع الأرض كالزلقة مثل المرأة النظيفة، ثم يأمر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى بركات الأرض أن تخرج حتى تكون الرمانة تكفي الفئام من الناس، ويستظل تحتها عدد من الناس ويبارك الله في الرّسل يعني اللبن حتى إن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس، وحتى إن اللقحة من البقر تكفي كثيرا من الناس، واللقحة من الماعز تكفي البطن من الناس؛ بركة من الله.

ثم بعد ذلك يرسل الله ريحا إلى قوم عيسى طيبة فيموتون.

ثم يأتي بعد ذلك شرار الخلق يتهارجون كتهارج الحمر، وعليهم تقوم الساعة.

وهذه من علامات الساعة الكبرى: منها خروج الدجال، ومنها نزول عيسى، ومنها خروج الدابة، ومنها طلوع الشمس من مغربها. وهذه كلها تقع، وهي من الآيات الكبرى.

والإيمان قول وعمل، يزيد وينقص

[المتن]

والإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، كما جاء في الخبر: ((أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم

خلقا)).^(١)

[الشرح]

فالإيمان قول وعمل؛ قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح، أو تقول: الإيمان قول وعمل

واعتقاد يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية. هذا هو الإيمان عند أهل السنة والجماعة.

(١) سنن أبي داود، كتاب السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، حديث رقم (٤٦٨٢).

سنن الترمذي: كتاب الرضاع، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها، حديث رقم (١١٦٢).

قال الشيخ الألباني: حسن صحيح.

يشاركهم الخوارج في أن الإيمان قول وعمل واعتقاد؛ ولكن عندهم الإيمان لا يزيد ولا ينقص، لأنه بمجرد ما يرتكب المسلم الكبيرة يخرج من الإسلام، يقابلهم المرجئة الإيمان هو التصديق؛ تصديق بالقلب فقط أو المعرفة كما عند الجهمية، أو تصديق بالقلب كما عند غلاة المرجئة.

وعند مرجئة الفقهاء الإيمان اعتقاد بالقلب وقول باللسان، ولا يدخل عندهم العمل في مسمى الإيمان، أما أهل السنة فأعمال القلوب^(١) وأعمال الجوارح داخلة في مسمى الإيمان بعد التصديق، فالإيمان يشمل الاعتقادات وأعمال القلوب من خوف الله وحبه ورجائه والرغبة إليه والتوكل؛ هذه كلها من أعمال القلوب، وهي من صميم الإيمان، ولا يقوم الإيمان إلا بها، ولا يكون إلا بها، وكذلك أعمال الجوارح من الصوم والصلاة والزكاة وسائر التكاليف الجهاد وما شاكل ذلك، حتى إن الأذى يماط من الطريق من الإيمان ((الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها لا إله إلا الله وأدناها إمطة الأذى من الطريق))،^(٢) وهذا الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان، يزيد إلى أن يصل أمثال الجبال، وينقص إلى أن يصل إلى أدنى مثقال ذرة من إيمان.

والمرجئة عندهم الإيمان لا يزيد ولا ينقص؛ لأن الإيمان تصديق فقط عندهم، وهو لا يقبل النقص إذا طرأ عليه نقص انتهى وخرج صاحبه من دائرة الإيمان، فهو لا ينقص؛ لكنه يستوي في هذا، الإيمان عندهم لا يتفاضل، يستوي فيه أفجر الناس وأخبث الناس مع الأنبياء والصديقين والملائكة، وهذا ضلال كبير.

كما يقابلهم في الضلال الخوارج، فغلاة المرجئة شرهم كبير؛ لأنهم يهدمون شريعة الإسلام بهذا الاعتقاد الخبيث، والخوارج خبيثاء لأنهم يكفرون الأمة ويسلون عليهم السيوف فيستبيحون دماءهم وأموالهم، فبمجرد ما يرتكب الكبيرة عندهم -زنى، سرقة، قتل- صار كافرا عندهم.

هذا كذب وضلال وسوء فهم، لماذا أمر الله بإقامة الحدود على السارق؟ ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا﴾ [المائدة: ٣٨]، لماذا يأمر الله بإقامة الحدود على من يشربون الخمر؟ وذلك الذي كان يشرب الخمر فأتى فقال أحدهم: لعنك الله ما أكثر ما يؤتى بك. فقال رسول الله:

(١) بعض المرجئة يعتبر أعمال القلوب من الإيمان؛ ذكر ذلك ابن تيمية رحمه الله في كتاب الإيمان.

(٢) مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان، حديث رقم (٣٥).

((لا تلغنه إنه يحب الله ورسوله)).^(١) مؤمن يقام عليه الحد، ويكفر يقولون: إقامة الحد عليه كفارة له.

كذلك -بارك الله فيك- إذا زنى وأقيم عليه الحد يكون كفارة له.

الكافر: قال فيه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((من بدّل دينه فاقتلوه)).^(٢)

فارتكاب الكبائر من الزنا والقتل وشرب الخمر وما شاكل ذلك كبائر عظيمة وشديدة جداً وجريمة في نظر الإسلام؛ لكن لا يكفره الإسلام، يقام عليه الحد ويعاقبه في الآخرة بهذا الذنب إن لم يعف عنه بقدر ما يشاء الله وبقدر ما يستحق؛ لكن لا يخرج عن الإسلام، ولا بد أن يخرج بتوحيد هذا المذنب من النار إلى الجنة.

من ترك الصلاة فقد كفر

[المتن]

ومن ترك الصلاة فقد كفر، وليس من الأعمال شيء تركه كفر إلا الصلاة، من تركها فهو كافر، وقد أحل الله قتله.

[الشرح]

(ومن ترك الصلاة فقد كفر) هناك أدلة كثيرة يا إخوة لمن يكفرون تارك الصلاة وقوية جداً، ويقابلهم من لا يكفّر تارك الصلاة، ولهم تأويلات لهذه النصوص.

من أدلة من يكفرون ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ [التوبة: ١١]، فلا تحصل الأخوة إلا بعد الدخول في الإيمان وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥]، فلا يخلّى سبيلهم ويرفع عنهم السيف إلا إذا آمنوا بالله وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة، حجج قوية جدا وكثيرة منها ((ومن ترك الصلاة فقد كفر))،^(٣) و((بين العبد والكفر أو الشرك ترك الصلاة)).^(١)

(١) البخاري: كتاب الحدود، باب ما يكره من لعن شارب الخمر وإنه ليس بخارج من الملة، حديث رقم (٦٧٨٠).

(٢) البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب لا يعذب بعذاب الله، حديث رقم (٣٠١٧).

(٣) سنن الترمذي: كتاب الإيمان، باب ما جاء في ترك الصلاة، حديث رقم (٢٦٢١).

سنن ابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء فيمن ترك الصلاة، حديث رقم (١٠٧٩).

فأمر الصلاة عظيم جدا وهي عمود الإسلام، وكما سيأتي في حديث عبد الله بن شقيق كما أشار إليه الإمام أحمد: وليس من الأعمال شيء تركه كفر إلا الصلاة. فأحمد في هذه الرسالة ذهب إلى تكفير تارك الصلاة، واحتج بالحديث واحتج بقول عبد الله بن شقيق، عبد الله بن شقيق قال: كان أصحاب محمد ليس عندهم شيء من الأعمال تركه كفر إلا الصلاة.

ويذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن جماهير أهل العلم من الصحابة وغيرهم ذهبوا إلى تكفير تارك الصلاة، وذهب جماعة من الأئمة؛ بل ذهب كثير من العلماء إلى تكفير من ترك واحدا من مباني الإسلام، يعني من ترك الصلاة كافر، أو ترك الزكاة كافر، أو ترك الحج كافر، وللإمام أحمد عدة أقوال في التكفير بهذه المباني، وله قول لا يكفر إلا تارك الصلاة والزكاة، وله قول بتكفير تارك الصلاة، وله قول بعدم تكفير تارك الصلاة؛ لأن الأمور شائكة والأمور خطيرة، والأدلة من الجانبين قوية، فيحصل للإنسان فيه شيء من اختلاف الأقوال واختلاف النظر وإلى آخره، الشافعي ومالك وأبو حنيفة عندهم ليس بكافر، وقبل ذلك هم مجتمعون أن من تركها جحودا فهو كافر، إذا تركها جحودا فهو كافر بالإجماع، وإذا تركها تكاسلا وتهاونا فمن سمعتم كَفَرُواهم ولو تركوها تكاسلا وتهاونا، كَفَرُواهم.

والشافعي وأحمد في قول له ومالك وكثير من الأئمة يرون أنه لا يكفر إلا إذا تركها جحودا لها، أما وهو يعترف بوجوبها، فهذا اختلفوا فيه، منهم من يرى قتله؛ يستتاب إذا ترك صلاة الظهر يقال له صلِّ إلى أن يدخل وقت العصر فيرفض الصلاة يقتل حدا، وعند من يرى أنه كافر يقتل كفرا لأنه كافر يقتل قتل المرتدين.

وآخرون يرون أن قتله حدا، وأبو حنيفة من بين الأئمة يرى أنه لا يقتل، يرى أنه يجبس وينخس ويعذب حتى يصلي أو يموت.

سنن النسائي: كتاب الصلاة، باب المحاسبة على الصلاة، حديث رقم (٤٦٣).

قال الشيخ الألباني: صحيح.

(١) سنن الترمذي: كتاب الإيمان، باب ما جاء في ترك الصلاة، حديث رقم (٢٦١٩).

سنن ابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء فيمن ترك الصلاة، حديث رقم (١٠٧٨، ١٠٨٠).

سنن النسائي: كتاب الصلاة، باب المحاسبة على الصلاة، حديث رقم (٤٦٤).

قال الشيخ الألباني: صحيح.

أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

[المقن]

وخير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر الصديق، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان، نُقَدِّم هؤلاء الثلاثة كما قدمهم أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لم يختلفوا في ذلك.

ثم بعد هؤلاء الثلاثة أصحاب الشورى الخمسة: علي بن أبي طالب، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد، وطلحة، كلهم يصلح للخلافة، وكلهم إمام، ونذهب في ذلك إلى حديث ابن عمر: (كنا نعدُّ ورسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حي وأصحابه متوافرون: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم نسكت)^(١)

ثم من بعد أصحاب الشورى: أهل بدر من المهاجرين، ثم أهل بدر من الأنصار من أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على قدر الهجرة والسابقة أولاً فأولاً.

ثم أفضل الناس بعد هؤلاء أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: القرن الذي بُعث فيهم. وكل من صحبه سنة أو شهراً أو يوماً أو ساعة، أو رآه فهو من أصحابه، له من الصحبة على قدر ما صحبه، وكانت سابقته معه، وسمع منه، ونظر إليه نظرة، فأدناهم صحبة هو أفضل من القرن الذين لم يروه، ولو لقوا الله بجميع الأعمال، كان هؤلاء الذين صحبوا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورأوه وسمعوا منه، ومن رآه بعينه وآمن به ولو ساعة، أفضل لصحبتهم - من التابعين، ولو عملوا كل أعمال الخير.

[الشرح]

(١) مسند أحمد (تحقيق أحمد شاكر): مسند عبد الله بن عمر، حديث رقم (٤٦٢٦). وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح. البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب فضل أبي بكر بعد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث رقم (٣٦٥٥)، دون (ثم نسكت)، وأشار الحافظ عند شرح هذا الحديث إلى رواياته.

وكتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عثمان بن عفان أبي عمرو القرشي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، حديث رقم (٣٦٩٧). دون (ثم نسكت) وفيه زيادة (ثم نترك أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا نفاضل بينهم).

سنن الترمذي: كتاب المناقب، باب في مناقب عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، حديث رقم (٣٧٠٧)، وليس فيه (ثم نسكت)، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه يستغرب من حديث عبيد الله بن عمر وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن ابن عمر. قال الشيخ الألباني: صحيح.